أولادنا

حصان طروادة



دار المعارف

حصان طروادة

أولادنا

٢٤

حصان طروادة

عن: چان نورمان

بقلم: عادل الغضبان

دار المعارف

الناشر · دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج · م · ع



١

كان « فاريس » ابن الملك « فريام » ، يتحرس ذاتَ ليلة قُطعانَ أبيه ، الجاثمةَ على مُنْحَدرٍ من جبل « إيدا » ، غيرَ بعيدٍ من مدينة « طروادة » .

وعلى حين فجأة ، شقّ ظلامَ الغابات نورٌ ساطع قويّ ، كأنما اجتمعتْ فيه أشعةُ الشمس والقمر معًا ، بين ذهبية وفضيّة .

وفى وسط ذلك النور الباهر ، لاحت لعينيه ثلاثُ ربّات هُنّ « هيرا » العظيمة ، و « مينرڤا » الحكيمة ، و « ڤينوس » الجميلة (١) .

---

(١) تسمى أيضاً « الزُّهَرَة » .

وبعد قليلٍ طَرَقَ مسمَعَه صوتُ « هيرا » ينساب إليه من خلال الأشجار ، عَذْبًا كألحان الموسيقى ، ويقول له :

— « جئنا إليك يا " فاريس " ! يا أجملَ البشَر ! رجاءَ أن تحكم بيننا ، فقل لنا مَنْ مِنَّا نحنُ الثلاث ، أجملُ من صاحبتَيْها ، وخُذْ هذه التّفاحة من الذهب ، وقدِّمْها إلى من تحكُمُ لها بالتفوُّق فى مضمار الجمال » .

ولمَّا فرَغَتْ من حديثها ، وضعتْ فى كَفِّه تفّاحةً من الذّهب النَّقىّ الخالص .

ثمّ أردفتْ قائلة :

— « أنا " هيرا " ملكة "الأولمب" وزوجة " زَفْس " العظيم كبيرِ الآلهة ، فإن فُزْتَ بقَصَب السَّبْق ، فُزْتَ أنتَ بسُلْطان ما بعده سُلْطان ، فلسوف تصبح ملكًا على بلادٍ واسعة ، ينبثقُ فيها الفجر وَرْدِىَّ القَسَمات ، وتغيبُ فيها الشمس ، وراءَ أفُقٍ من الأرْجُوان ، وتكون أنتَ السيِّد المولى ، لمئةِ شَعْب وشَعْب » .

وما إن انتهتْ من الكلام ، حتى انبرتْ « مينرفا » ربَّةُ الحكمة تقول بصوتٍ صافٍ رقيق ، كأنه شُعاعٌ من أشعَّة القمر ، فى سكونِ ليلةٍ بغير نجوم :

— « يَجِبُ أن تمنحنى أنا جائزة الجمال ، فلئن فعلتَ وكنتُ أنا حاميتك وصديقتك ، لتكسِبَنَّ حكمةَ الآلهة ، وليُصبِحَنَّ عَسيرُ

الأمور لديك غيرَ عَسير » .

وكانت الرّبـّة الثالثة واقفةً وسط هالَة من نورٍ ورْديٍّ اللون ، كأنه أول شُعاعٍ من فجر الربيع فقالت :

ـ « ما قيمةُ السُّلْطان والحكمة يا " فاريس " الجميل ؟ فالحكمةُ والسلْطان أعْجزُ من أن يمنحا السعادة ، أمَّا أنا فسوف أمنحك الحبّ ، وأجعلك زوجًا لأجمل الجميلات » .

وخَلَبَ لبَّ «فاريس» هذا الجمالُ الباهر المتألق فى وجه «ڤينوس» ، وشَنّفَ سَمْعه صوتُها العَذْب الناعم ، فقدّمَ لها التفّاحة .

وأصبح « فاريس بن فريام » بعد هذا هَدَفًا لغضب الآلهة ، فقد أقسمتْ كلٌّ من « هيرا » و « مينرڤا » فى سُخطٍ ما بَعْدَهُ سُخْط ، لتنتقمنَّ من « فاريس » ومن جميع بنى قومه .

أمّا « فاريس » فقادته « ڤينوس » ، عَبْرَ البحار الواسعة ، إلى « إسبرطة » فى بلاد الإغريق .

وكان ملك « إسبرطة » فى ذلك الحين ، رجلاً هُمامًا يُدْعَى « منيلاوس » ، ويعيش فى هَناءَة وسعادة مع زوجته « هيلانة » أجْمَلِ نساء عصرها ، وكان الزّوجان مُغْتَبِطَيْن أيّما اغتباط ، بطفلة رُزقاها وسَمّياها « هرميون » كانت منهما مَعْقِدَ الأنْس والمسرّة .

ولما ظهر « فاريس » فى مدينة « إسبرطة » ، استحوذَ على إعجاب الناس ، فقد رأوا فيه المحارب النبيل ، والفتى الجميل ، بعينيه الزرقاوين زُرْقَةَ البحر ، وجدائلِ شعره الأشقر ، تلْمَعُ فوق ثوبه الأرْجُوانى .

ولم يكن الملك « منيلاوس » بأقلَّ إعجاباً به من رعيّته ، فأكْرَمَ وِفادَته ، واحتفل به احتفالاً كبيراً ، وحينما وقع بَصَرُ « فاريس » على « هيلانة » ، أخذَ بجمالها الفتّان ، ورأى فيها أجملَ نساء الأرض .

وأدركت «ڤينوس» مايجولُ فى خاطر «فاريس» ، فربطت « هيلانة » بسِحْرٍ أصبحت بعده لا تُحِبُّ زوجَها ، ولا تَحْفِلِ بابنتها العزيزة الغالية .

وعندما سمعتْ « فاريس » يُلْقِى على سَمْعِها كلماتِ الحبِّ والغرام ، ويقترح عليها أن تهرُب معه وتصبح زوجته ، شعرتْ أنها تُحِبّه ، فلبّت نداءَه فَرِحَةً مُبْتَهِجة ، واستقلَّ المُحِبّان السفينة الطروادية ، فسارت بهما تَمْخُرُ عُبابَ الماء ، حتى وصلا إلى أرض « طروادة » .

ولا تَسَلْ عن ألم « منيلاوس » وشديد حزنه ، لمَّا عَرَفَ أن « فاريس » قد خَطَفَ زوجته الجميلة التى كانت تنزل من قلبه فى الصَّميم ، فذهب إلى أخيه « أجا ممنون » زعيم زعماء الإغريق ، يَنْفُضُ له شجونَ قلبه ، فانتشر الخبر فى طول البلاد وعَرْضها ، وهَبَّ الرجال من كل حَدَبٍ وصَوْب ، متحفّزين للقتال ، فاجتمع منهم مئة ألف



مقاتل تفوقوا فى نحو ألف ومائتى سفينة سارت بهم تضْرب فى مناكب البحار إلى « طروادة » عازمين عزم الرجال أن يقتصوا من « فاريس » وأهله ، وأن يعودوا بالجميلة « هيلانة » إلى وطنها .

ولكن ما أقل منْ عاد منهم إلى بلده ، فقد قدّر للإغريق والطّرواديين أن يقضُوا عشر سنوات فى حرب ضرُوس ، ومعارك دامية ، وآلام مبرِّحة ، وكان سبب هذا كله شؤمَ جمال « هيلانة » ملكة « إسبرطة » .





٢

أقام الإغريق مُعَسْكَرَهم ، وضربوا خيامَهم أمام أسوار « طروادة » ، وحاصروا المدينة حصاراً شديداً آناءَ الليل وأطْرافَ النهار ، ولم يتراخَوْا فيه قِيدَ أنْمُلَة .

وكانت الحرب حَوْلَها سِجالاً ، والنصر يروح ويجيء بين الفريقين ، يُكلّل هامَ الإغريق يومًا ، ويَجْدُل غاره على رؤوس الطّرواديّين يومًا آخر ، واستمرّت الحال على هذا المنْوال تِسْعَ سنوات طويلة .

واتّفقَ أنْ هاجمتْ ذاتَ يومٍ كتيبةٌ من الإغريق مدينة « كريز » ، فأعملوا في أهْلِها الطّعْن والضّرْب ، وعادوا منها بأسلابٍ وافرة ، وغنائم

ثمينة ، فضلاً عن عدد كبير من الأسْرَى ، كان بينهم فتاةٌ جميلة تُدْعى « كريزئيس » هى ابنة كاهن عجوز ، يقوم على خدمة هيكل « أپولون » .

راقت الفتاةُ فى عين « أجاممنون » ، فاختارها أمَةً له ، واكتفى بها عن نصيبه من السَّلَب .

وأقْبَلَ عندئذ الكاهن العجوز يَبْحَث عن ابنته ، ومعه فِدْية ثمينة يفتديها بها ، وكان يحمل بيديه صَوْلجانًا من الذهب ، ملفوفًا بِقِطَعٍ من ثوب « أپولون » مِمَّا يدُلّ على أن الإله الذى يخدمه كان راضيًا عن عمله ، موافقًا على ما جاء يطلبه من الزعيم العظيم « أجاممنون » .

فلما مَثُلَ الكاهنُ العجوز بين يَدَىْ « أجاممنون » قال له فى لَهْفة وابتهال :

— « خُذْ يا سيّدى هذه الجزية من خادمك " كريزاس " ، وارْدُدْ علىَّ ابنتى تساعِدْكَ الآلهة على تدمير " طروادة " وتكتبْ لك العَوْدَة إلى وطنك سالمًا غانمًا ظافراً » .

فلو كان للإغريق أن يختاروا بين الأمرين ، لآثروا الكنْز على الفتاة ، غير أن « أجاممنون » تَمَلَّكه الغضب ، وطَرَدَ الكاهن العجوز وقال له :

— « حَذارِ أن أراك أيها الشيخ تَجُرّ قدميك على الشاطئ متجسّسًا على سُفُنِنا ، وإلاّ فلن ينجيك من غضبى لا الصولجان ولا القِطَعُ

من ثوب الإله؛ واعلَمْ أنى لن أرُدَّ إليك ابنتك، وأنّها ستعيش وتَهْرَم أمَةً لى ؛ فاذهَبْ واغرُبْ من وجهى فى الحال » .

ومضى الكاهن الشيخ فى صَمْت وهدوء ، يمشى على طول الشاطئ ، عائداً إلى بلده يُشيِّعه هديرُ الأمواج وصفيرُ الرِّياح .

سار حزيناً كئيباً ، حتى إذا ابتعد من مَرْمَى الأنظار وصَخَب القوم ، ركعَ وأخذ يُصَلِّى لربّه « أپولون » ويناجيه قائلاً :

— « أيها الإله العظيم يا صاحبَ قوس الفضّة ! إنى أرفع إليك هذه الكلمات ، فاستمعْ لى واستجِبْ لندائى . لقد بَنَيْتُ لك هيكلاً حاز رِضاك وراق فى عينيك ، وأحرَقْتُ من أجْلِك لحمَ البَقَر والعُجُول ، فاجعل الإغريق يكَفِّرون أشدّ التكفير عن عَبَرَاتى المسفوحة ، وانتقمْ لى يا أقوى الأقوياء ، وأمْطِر الأعداء بسِهامك القاتلة يا " أپولون " ! »

سَمِعَ « أپولون » دُعاء خادمه وهو فى قِمّة « الأولمب » ، فامتلأ قلبه حَنَقاً وغضباً .

وفى ظلام الليل البَهِيم ، نزل هذا الإله من عَلْيائه إلى حيثُ كان « أجاممنون » وجيشه مُخْلِدين إلى الراحة والاستجمام ، فوقف على مَقْرُبَة من السُّفُن ، وأطلق سَهْماً من سِهامه ، فسُمِعَ لقوسه الفِضّية دَوِىٌّ هائل .

وتوالت سِهامُه ، وترامتْ تَحْتَها الخيل والكلاب أولاً ، ثم تساقطت بعدها جماعات الرجال .

وعاش الإغريق تسعة أيام كانوا فيها هدفًا لانتقام « أپولون » ، فتراكمت الجُثَث على المحارق فى تلك الأيام التسعة ، وساقت الريح آكامَ الدُّخَان إلى عُرْضِ البحار .

وفى اليوم العاشر ، دعا رئيس من رؤساء الإغريق مَجْلِس الحرب إلى الانعقاد ، وكان هذا الرئيس يدعى « أخيل » وينتسب إلى أب محارب من البشر ، وأمٍّ من الرَّبَّات ، وكان بَطَلاً مِقْدامًا معروفًا بالشجاعة والبسالة وخِفَّة الحركة .

فلما اكتمل عقْدُ المدعوِّين ، وقف فيهم خطيبًا وقال :

ـــ « إن الحرب والوباء يَفْتُكان بنا فَتْكًا ذَرِيعًا ، فعلينا أن نلتمس أحدَ الكهنة ، أو أحدَ العَرَّافِين ، ونطلب إليه أن يسأل "أپولون" ما سَبَّبَ هذا الغضب » .

فنهض على الأثَر « كلخاس » أعْلَمُ العَرَّافين وقال .

ـــ « لم يَجُرَّ علينا هذا البلاء إلا "أجاممنون" ، فقد أساء كلَّ الإساءة إلى "كريزاس" كاهن "أپولون" ، ولسوف يَظَلّ هذا الإله يرمينا بسهامه المسمومة ما دامت "كريزئيس" صاحبة العينين الجميلتين بين ظَهْرَانَيْنا ، نستأثر بها ولا نردُّها إلى أبيها خالصةً من أية جِزْية وهَدِيّة كانت ، فأعيدوا الفتاة إلى وطنها ، وأرسلوا معها مئة رأس من البقر تُقَدَّمُ قُرْبانًا منكم على مَذْبَح الإله الغَضُوب ، تأمنوا جانبه وتفوزوا برِضاه » .

أنهى العرّاف كلامه وجلس ، فوقف « أجاممنون » العظيم بادىَ الغضب ، برّاقَ العينين وقال :

— « ما أسوأكَ عرّافًا يا "كلخاس" فما أنت إلاَّ نذيرُ شؤم تجرُّ علينا كلماته الويلات والكوارث ، فاعلم أنى لا أعدل بالفتاة أية جزية مهما عظمت ، فهى منى سويداء القلب وإنسانُ العين ، غير أنى أنزل عنها مع ذلك راضيًا ، ولا أمانع فى إعادتها إلى أبيها ، إنقاذاً لشعبى من الهلاك والوبال ، ولكن ماذا تعطوننى بدلاً منها ؟ فهل أكون بين الإغريق ، الرجل الوحيد الذى حرم مكافأته ؟ إن هذا ليس من العدل فى شىء » .

فقال عندئذ « أخيل » :

— « على رسلك يا" أجاممنون " ، فإنك لمثال الشرَه والجشع ، وإنك لتعلم أنْ ليس فى خزائننا من الأسلاب ما نعوّضك به عمَّا فقدت ، فلقد تقاسمنا جميع الغنائم حتى لم يبقَ منها شىء ، فأعد الفتاة إلى أبيها ، وانتظر هجمةً جديدة نقوم بها على بقعة من البقاع ، يكنْ لك منها أثمن السلب » .

فردَّ عليه « أجاممنون » قائلاً :

— « أتسعى إلى أن تثير بيننا الشقاق والشجار يا "أخيل" ؟ أتفكر فى أن تسلبنى نصيبى من المكافأة ، ولا تعوضنى عنه بشىء ؟ إن شرفى ليتقاضانى فى هذه الحال ، أن أستولى على حقى قسراً وعنوة من

أيّ مصدر كان ، فلسوف آخذه من نصيب " أوذيس " أو أي محارب آخر وليكن ما يكون . . . ولكن دَعْنَا من هذا الآن . . . هيّا نُعِدّ السفينة التي ستحملُ " كريزئيس " صاحبة الخدّ الأسيل إلى أهلها ، وتحمل معها الأنعام التي سنقدمها قُرْبَانًا على مَذْبَح إله السهام » .

فنظر إليه « أخيل » نَظْرَةً شَزْرَاء وقال :

— « أيُّها المنافق الماكر ! لقد تركتُ مملكتي من أجلك ومن أجل شقيقك " منيلاوس " ، وركبت البحر الواسع إلى هذه البلاد ، حتى أشُدّ أزْرَك وأحارب معك أهل " طروادة " ، فماذا كان جزائي منك على حَمِيَّتي ونجدتي ؟ لا شيء سوى وعيدك بأن تَسْلُبَني ما كسبْتُ بعد ركوب الأهوال ومغالبة الصعاب ، فلقد عزمتُ أن أرحل عائداً إلى بلدي ، فما عُدْتُ أطيق أن أخوض غَمَرَات القِتال ، في سبيل رجل طَمَّاع جَشِع ، كل هَمِّه أن يكون جَمَّاع كنوز ورَبَّ ثَرَاء » .

فقال « أجاممنون » :

— « ارْحَلْ إذا شئت ، فمعي هنا محاربون أشدّاء لا يَقِلّون عنك شجاعةً وبَطْشًا ، وهم كلهم حُكّامٌ عُدُول ، يُحيطونني بالتَّجِلَّة والإكرام . . . إنك تحقد عليّ يا " أخيل " ، وكلنا نعرفك طَلّاب خِصام ، وصَيَّاد نِزاع ، وما أنا من يَحْفِل بك وبغضبك ، فاسمعْ ما أقول واستوعِبْه :

سأذهب أنا نفسي إلى خيمتك ، وأخْطَف منها " بريزئيس "

أجْمَلَ أسيراتك ، فتعلم عندئذ أن "أجاممنون" هو السيِّد ولا سيِّد سواه » .

استشاط « أخيل » غَضَبًا عند سماعه هذا الكلام ، فاستَلّ سيفه ، وكاد يهوى به على « أجا ممنون » فيُرْدِيه قتيلاً ، لولا أن أمسكتْ بذراعه « مينرڤا » ربّة الحكمة ، فقال لها وشَرَرُ الغضب يتطاير من عينيه :

— « ما الذى جاء بك إلى هنا يا ربّة الحكمة ؟ أجئتِ تَشْهَدِين وقاحة " أجاممنون" ؟ إذن فاعلمى أن غروره سيؤدى به إلى التهلُكة ، وينتزع منه نعمة الحياة » .

فقالت « مينرڤا » بصوت رقيق هادئ :

— « أقبلت إليك من أعالى "الأولمب" لأحمِلَك على تهدئة ثائرتك ، وتلطيف حِدّتك ، فالإهانة التى لحقتْ بك ستُعَوَّض عنها فى يوم قريب بأسْنَى الجزاء ، فاخْفِض يَدَك ، وأجبنى إلى ما طلبت » .

فقال « أخيل » وقد خمدتْ نار سُخْطه :

— « سَمْعًا وطاعةً يا ربّتى » .

فأعاد سيفَه إلى قِرابه ، وهو يَكيل السباب لغريمه « أجاممنون » ويقول له :

— « يا وَجْهَ الكلب ويا قَلْبَ الوَعْل ! إنك فى مجال الطّعان

تُرَى دائمًا فى المؤخَّرة ، ولكنك عند تقسيم الغنائم تقفز إلى المقدَّمة ، لتظفر بالنصيب الأوْفَى دون المحاربين الشجْعان الذين عرّضوا أنفسهم للهلاك فى سبيل الحصول عليه . لقد سَكَتَ هؤلاء عنك طويلاً ، فلو استمروا فى السكوت عن طُغْيانك لعَدَدْتُهم من الجُبَناء ، فبحقِّ هذا السيف الذى كدْتُ أقتلك به ، إن يوم الفَصْل لقريب ، فى ذلك اليوم سوف يَقَعُ الإغريق تحت ضَرَبات " هكطور " قتَّال الرجال ، وسوف يفتقدوننى فى ساحة الهيجاء فلا يجدوننى ، فيَعْصر نفوسهم الأسف والندم ، وتذوب نفسك أنت حَسْرَةً وألمًا على أنْ حقَرْتَ شأنى ، ففقدتَ بى أمْهَرَ الرُّماة ، وأشجعَ الشُّجْعان » .

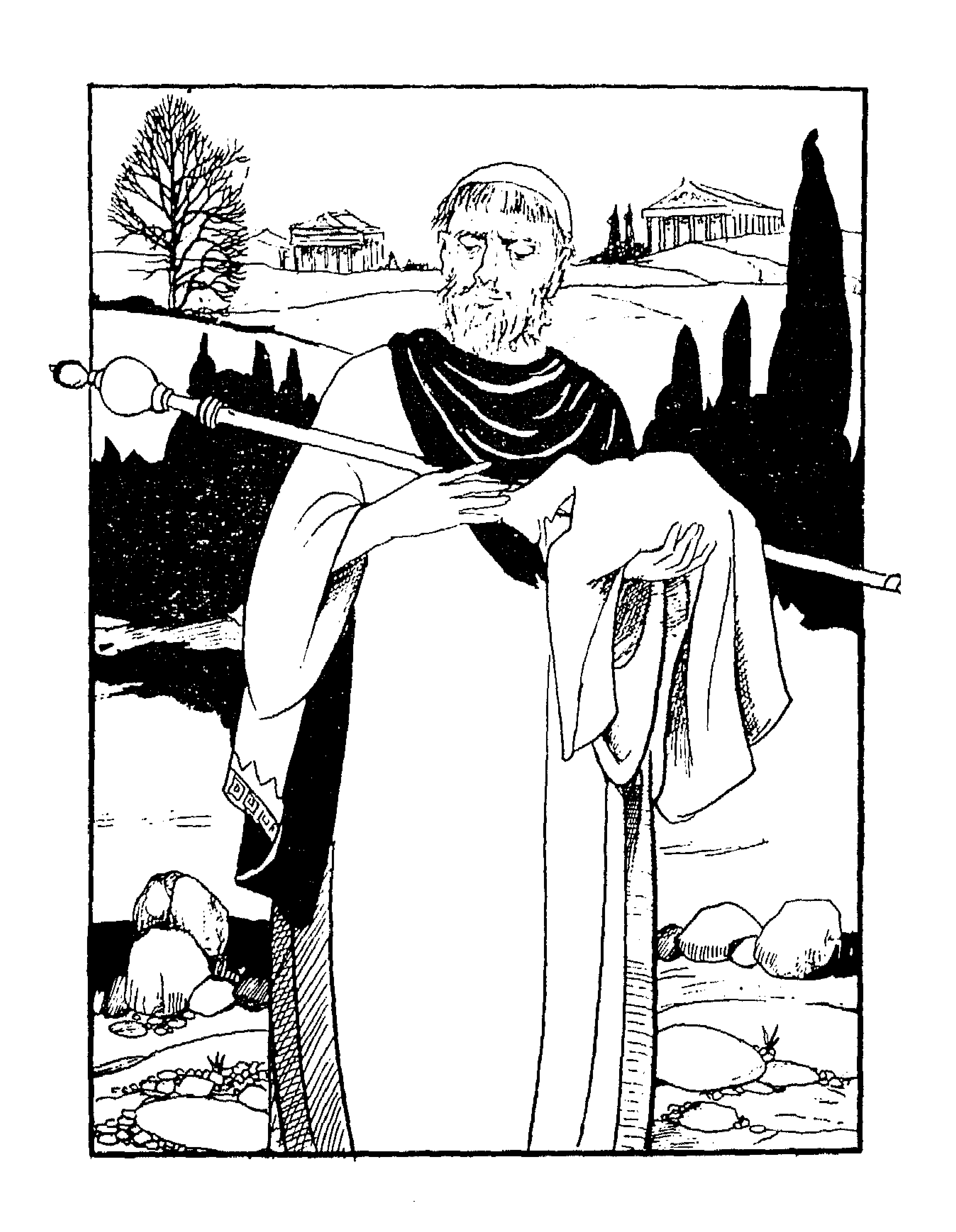
قال هذا ورمى إلى الأرض بعصاه المُحَلاَّة بمسامير الذهب ، فى حين كان « أجاممنون » جالسًا والغضب يُقيمه ويُقْعِدُه .

وتدارك « نسطور » الموقف ، وهو محاربٌ شيخ يبلُغُ من العمر نحو مئة عام ، وتوسَّط بين الغريمين ، وحاول أن يُهَدِّئْ من رَوْعِهما ويحملهما على الصلح والمصافاة ، فذهبت مساعيه أدراجَ الرياح .

واستأنف « أخيل » الكلام فقال :

— « إنك تستطيع أن تسلُبَنى أسيرتى " بريزئيس " الجميلة ، فليأخذها الإغريق وليستردوا ما وَهَبُوا ، ولكن حَذَارِ أن تفكر فى أمر سواها مما أحفظ وأملك ، وإلاَّ أسَلْتُ دمك الأسود على سِنان رمحى » .

وارفضَّ المجلس وتفرّق الزعماء .



وبعد قليل ، أبحرتْ من الميناء سفينة سريعة ، تحمِلُ على ظهرها « كريزئيس » الجميلة ذات الخدّ الأسيل ، وتحمِلُ معها مئة رأس من البقر هي القُرْبان المقدَّم من الإغريق إلى مذبح الإله « أبولون » .

وتولى « أوذيس » قيادة السفينة ورياسة المُجدِّفين ، حتى قرَّتْ عين الكاهن العجوز برجوع ابنته العزيزة إليه .

أما « أجاممنون » فقد دعا إليه بعد ارفضاض المجلس ، جماعةً من أعوانه وقال لهم :

— «اذهبوا إلى خيمة " أخيل " وأتُونى بأسيرته الجميلة " بريزئيس "» .

فأطاعوا الأمر على كُرْه منهم ومَضض ، وساروا على مُحاذاة الشاطئ إلى المكان الذى ضُرِبَتْ فيه خيمة « أخيل » فوجدوه جالساً فوق صخرة على مَقْرُبة من مُجْتمَع السُّفُن ، هائجَ الشُّعور ، مضطَّرِبَ الفؤاد ، فلما رآهم عَرَف المهمّة التى دفعَتْهُم إليه فقال لهم :

— « مَرْحَباً أيها الإخوان . . . فأنتم فوق كل عَذْل ومَلاَم . . . وإنما غريمى هو " أجاممنون " الذى أرسَلَكم لأخذ أسيرتى الحسناء ، فخُذُوها ، ولكننى أحلِفُ لكم حلِفَةَ صادِق ، وأنتم شُهُودٌ علىّ ، أنْ لو احتاج يوماً إلى ذراعى ، ليُنْقِذ جيشه من هزيمة محقّقَة نَكْراء ، وأهابَ بى إلى معونته ، لأعَرْتُهُ أذُناً صمّاء ، ولما خطَوْتُ إليه خُطْوَةً واحدة » .

ومشى القوم بالفتاة ، وهى آسِفة حزينة ، ونظر إليها « أخيل »

وهى تبتعد ، وفى قلبه مِثْلُ ما فى قلبها من غمٍّ وكآبة .

ثم أدار « أخيل » بأبصاره إلى البحر الهائج الزَّخَّار ، وإلى أمواجه العالية المتلاطمة ، ورفع كفَّيْه متوسلًا ، كأنه طفل يُصَلِّى ، وصاح يستنجد بأمه « تيتيس » صاحبة القدمين الفضيتين وابنة ملاك البحر .

سَمِعَتْ أمه صيحته ، فخرجت من أعماق البحر ، خفيفةً كالهواء ، وأقبلتْ تجلس قُرْبَ ابنها المتألم الباكى ، فأمسكت بكفّه فى رِفْقٍ وحَنان ، وقالت له بصوت حُلْوٍ رقيق :

ــ « لماذا تبكى يا ولدى ؟ وأىّ شَجَنٍ يَجيشُ فى حناياك ؟ أفْضِ إلىَّ بشؤون قلبك » .

فقصَّ عليها قصَّة شِجارِه مع « أجاممنون » ، فعصف الألم بفؤادها ، وثارت نَفْسُها على الإهانة التى لحقتْ بابنها فقالت :

ــ « يا ولدى الحبيب ! إن القَدَر لم يمنَحْك إلا حياةً قصيرة ، فلا أقَلَّ من أن تخلو هذه الحياة القصيرة من الأوجاع والآلام ، ولسوف أعمل ما فى مقدورى على أن أجنّبك المرارة والشكوى » .

ثم غابت عن بصره .

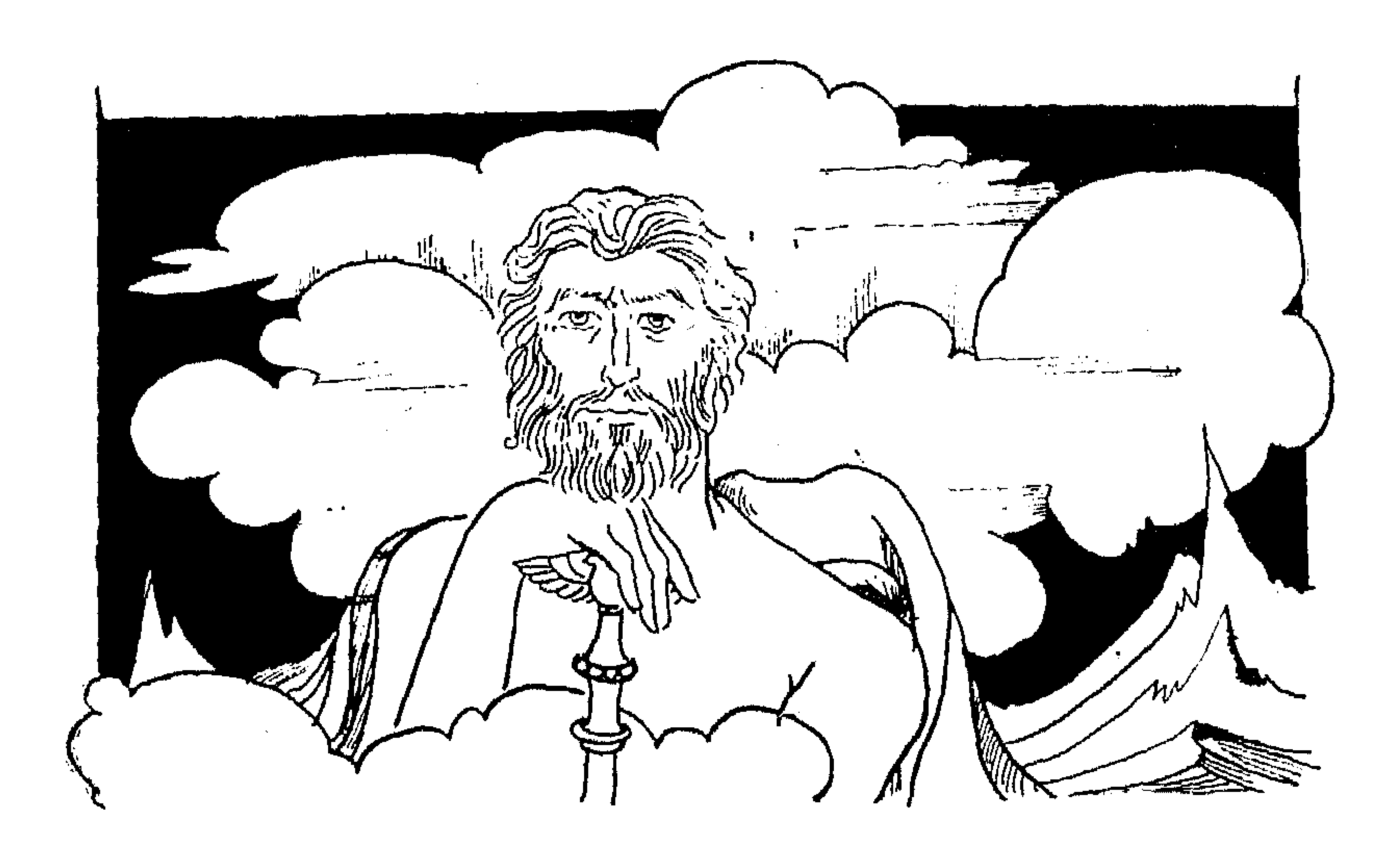
وفى فجر اليوم التالى ، غادرت قصرها فى أعماق البحار ، وصعدتْ إلى « الأولب » وَمَثُلَتْ بين يدى الإله « زَفْس » ربّ الأرباب ، وابتهلتْ إليه قائلة :

ــ « يا أبانا " زَفْس " يا ربَّ الأرباب ! لئن كان لى فى حسابك

صنيعٌ حَميد قُمْتُ به من أجلك على الأرض ، أو كانت لى فى ذلك الحساب كلمة حق قُلْتُها فى سبيلك ، فاسمع دعائى ، وتلطّفْ وحقّق ما أسألك من رجاء : إن ولدى، وحياته مُقَدَّرٌ لها أن تكون قصيرة، قد أهين ، فأتوسَّل إليك أن تثْأر له ، وأن تَمْسَحَ عنه عار الإهانة ، امْنَح الطراوديين النصرَ طوالَ انصراف ولدى عن القتال ، أنِلْنى هذا الرجاء حتى يُضطرَّ الإغريق إلى الاستنجاد به فينتصروا على يديه ، ويكللوه بغار المجد والتعظيم ، ويمحوا بذلك ما أصابه به « أجا ممنون » من مَذَلَّة وهَوان » .

فحَنَى « زَفْس » رأسه علامةَ القَبُول والاستجابة ، واندفعت « تيتيس » فى خِفَّة الطير عائدةً من قِمّة « الأولمب » إلى قصرها فى أعماق البحار .





٣

كان الآلهة والرجال فى تلك الليلة ، آخذين قِسْطَهم من الراحة ، مستسلمين إلى نومٍ عميق ، ماعدا « زَفْس » سيِّد « الأولب » ، فقد كان ساهراً يفكّر فى وسيلة يُشَرِّف بها « أخيل » ، وتضمن له أسباب التبْجيل ، فقَرَّ قرارُهُ فى آخر الأمر ، على أن يُرْسِل طَيْفًا إلى «أجا ممنون» ، يُوقِظهُ من رُقادِه إذا كان نائمًا ، ويُدْلِى إليه بما يريد .

فنادَى أحَدَ الأطياف ، وهؤلاء هم الرسل الذين يُوحُون إلى الناس بِرَغَبات الآلهة ، وقال له :

— « طِرْ أيها الطَّيْف الخادع إلى مجتمع سفن الإغريق ، وادخُلْ

خيمة "أجاممنون" ، وانقلْ إليه هذه الكلمات فى وفاء وأمانة ، وقل له : أيُّها البطل ، نادِ محاربيك واجْمَعْهُم تحت السِّلاح ، فسقوط " طروادة " فى أيدى الإغريق قد حان ، ويوم النصر قد اقترب » .

وطار الطَّيْف بعد سَماع كلمات « زَفْس » ، ودخل خيمة « أجاممنون » متنكِّراً فى زِىِّ المحارب الشيخ الذى حاول بالأمس أن يَحْسِم الخلاف بين « أجاممنون » و « أخيل » ، فوقف عند رأس الزعيم النائم ، وخاطبه قائلاً :

— « أتَنام يا " أجاممنون " ؟ أيَليق برئيس جيش كبير أن يستسلم إلى الكَرَى طولَ الليل ؟ إن " زَفْس " ربَّ الأرباب قد بعثنى إليك ، وطلب إلىّ أن أبلغك رسالته وهذه هى : سارِعْ بجنودك إلى القتال ، فقد دنت الساعة التى ستستولى فيها على " طروادة " » .

وعاد الطَّيْف أدراجَه طائِراً إلى جبال « الأولمب » ، كأنه قِطْعَة من سَحاب .

واستيقظ « أجا ممنون » ، ولا يزال هُتَاف الطَّيْف يرنّ فى أذنه ، فوثَب ناهضًا من فراشِه وارتدى ثوبه ومِعْطفه الثمين ، وانتعل مَداسَه ، وتقلَّد سيفه ، وتناول صَوْلجانه ، ومضى يُغذّ فى السَّيْر إلى مَرْسَى سفن الإغريق لِعَقْدِ مجلس الحرب .

وانعقد المجلس ، واشرأبَّت إليه الأعناق وهو يحدّثهم ، ويُفضى إليهم برسالة « زَفْس » التى نقلها إليه الطَّيْف فى مَنامه ، وختمها قائلاً :

— « إن ربَّ الأرباب يقول لنا : ليَخِفَّ الإغريق إلى السلاح فالنّصر لهم » .

فوقف عندئذ المحارب الشيخ الذى تنكّر الطَّيْف فى زيِّه ، وصاح فى المجتمعين :

— « أيّها الرّفاق ! لو أفضَى إلينا أحد غير "أجاممنون" بهذا الحديث ، لقلنا إنه يخدعنا ، ولكن المتكلم إنما هو رئيسنا الأعلى بل هو "زَفْس" نفسه يحدثنا بلسان "أجاممنون" ، فإلى السلاح إذن إلى السلاح » .

وأراد « أجا ممنون » أن يَعْجُم عُودَ رفاقه من الزعماء ، ويعرف مبلغ عزمهم على استئناف القتال فقال :

— « أيّها الأصدقاء ! إن "زَفْس" خدعنا . أتذكرون كيف وعدنا ، بانحناءة من رأسه ، يوم ركبنا السّفُن ، بأن يكون النصر حليفنا ؟ وها هى ذى سنوات تسع تمُرّ علينا ، ونحن أبْعَدُ ما نكون من النصر ، حتى لقد قَرَضَ السُّوس خشب السفن ، وتفتّتت منها الحبال فاستحالت ترابًا . إن نساءنا وأطفالنا قابِعون فى ديارنا ، ينتظرون رجوعنا ظافرين منتصرين ، ولكن أين النصر ؟ فما نحن منه بأقربَ من اليوم الذى ألقينا فيه المراسى ، ونزلنا هذه الشواطئ ، فخذوا بنصيحتى أيها الإخوان ، ولنركبْ سفننا عائدين بها إلى بلادنا الحبيبة ، فالاستيلاء على "طروادة" ، ضَرْبٌ من المُحال » .

هكذا تكلم « أجا ممنون » فأثار النفوس ، وألقى بها فريسةً للقلق والتردد والاضطراب ، ولم يتبيَّنْ أحدٌ مرماه الخفيّ ، وسرّه المغلَق .

وسرَى الخبر إلى الجيش ، فهاجَ وماجَ كأنه أمواج البحر تتلاعب بها هُوج الرّياح ، أو كأنه حقلٌ من القمح يثني النسيم منه السنابل ، وما هي إلا لحظات حتى دوّى صياحُ الجند ، وشقّ عنان السماء ، وهرعُوا إلى المراكب ، واستقلُّوها وتأهّبُوا ، في فرحٍ وغبطة، للسَّيْر بها على صفحات الماء عائدين إلى الوطن .

وكاد الإغريق يرحلون ، وهمّ الملاّحون بأن يُعْمِلوا المجاذيف في كَبِد البحر ، فسارعت الربّة « هيرا » إلى الربّة « مينرڤا » وقالت لها :

– « أنترك الإغريق يلُوذُون بالفرار على هذا النحو ؟ أيّ عارٍ يلحَق بنا لو بقيتْ " هيلانة " في " طروادة " ونجا " فاريس " من العِقاب ؟ فهيّا إذنْ إلى العمل ، وأسمعي المحاربين كلماتك المعسولة ، وأقنعي كل محارب بالبقاء ، وامنعي الإغريق من أن يركبوا البحر » .

هبطتْ « مينرڤا » ذات العينين الزّرْقاوين من « الأولمب » ، ووصلتْ إلى حيثُ كانت السُّفُنُ تتأهّب للرحيل ، فلقيت « أوذيس » الرجل الفَطِن الحصيف ، ورأته ساهماً مهموماً ، وأدركتْ ما يجولُ في فؤاده من همٍّ مُبَرِّح فقالت له :

– « أصحيح يا " أوذيس " أنك هارب إلى بلدك ؟ أيرْضَى إذنْ " أوذيس " الشجاع أن تبقى "هيلانة" في أرض " طروادة " وأن يجرّ



الـ"تروادِيّون ذيول الزَّهْو والفَخار فى هذا الشأن ، بعد ما أريق فى سبيلها ما أريق من دم الإغريق الزَّكِىّ ؟ لا . لا . ما إخالُك ترضى عن هذا الهوان ، فأسرع فى تدارك الأمر ، وادْعُ الجنود إلى البقاء » .

فَعَمِلَ صوت « مينرڤا » فِعْلَ السِّحْر فى فؤاد « أوذيس » ، فخَلَع مِعْطَفه وجَرَى رَكْضًا إلى « أجا ممنون » ، فانتزع منه صَوْلجانه دليلَ رِفْعته وعَظَمته ، وأخذ يطوف بالمعسكر وقِطَع الأسطول ، وكان كلما قابل زعيمًا من الزعماء ، تلطَّف فى الحديث معه وقال له :

— « لا تضطَرِبْ يا صديقى فما أنت بالرجل الجَبان . إن وراء كلام " أجاممنون " لأمراً خَفِيًّا . لقد شاء أن يَسْبُر غَوْرنا ، ويعلم مقدار تصميمنا على القتال ، فإذا لم تَعُد إلى جندك فسوف تُثير غضبه عليك » .

وكان « أوذيس » إذا لقى رجلاً من سَواد الجند هارعًا إلى السُّفُن ، ضربه بعصاه وقال له :

— « ابقَ يا هذا حيث أنت ولا تكن جبانًا . إن " زَفْس " قد وهبنا رئيسًا واحداً فأطعْ أمره » .

وما زال يُهيب بالجند والقادة على مثل هذه الحال ، حتى استرجعهم من الشاطئ ، ووجّههم إلى خيمة الرئيس ، فاجتمع عندها خَلْق كثير ، وجلسوا فى صمت وسكون ينتظرون ما سوف يُسْفِر عنه هذا اللقاء .

وقَطَع حَبْلَ الصمت صوتٌ أجَشّ ارتفع من وسط الجماهير .

إنه صوت « ترسيت » الأعرج الأصلع ، الدميم الوجه ، المقوس الكتفين ، فقال يخاطب « أجامنون » ويسمعه قوارص الكلم :

ـــ « مم تشكو أيضاً يا رجل ؟ إن خيامك مملوءة بالأسلاب التى غنمناها نحن وقدمناها إليك ، فماذا تريد فوق ذلك ؟ وأنتم يا بنى قومى لأخلعن عنكم صفة الرجال إذا لم تقرروا العودة إلى أوطاننا ، وتتركوا هذا الرجل يحتضن الكنوز التى كسبناها له . لقد أهان "أخيل" البطل الصنديد و "أخيل" خير منه ، وأحصف رأياً ، وأشجع فؤاداً » .

فهب « أوذيس » النبيل واقفاً ، واخترق الصفوف إلى « ترسيت » وقال له فى جفوة وصرامة :

ـــ « اسكت يا رجل ، وحذار أن أسمعك مرة أخرى تجدف بمثل ما جدفت به الآن ، وإلا أشبعتك ضرباً وطردتك شر طرد من هذا الاجتماع » .

وأتبع « أوذيس » القول بالعمل ، فضربه بعصاه على ظهره وكتفيه حتى أدماها ، فجلس المسكين وهو يتلوى ألماً ، وطأطأ رأسه ومسح دمعة انحدرت على خده . فقهقه الجند ضاحكين ، على ما بهم من قلق ، وقالوا :

ـــ « إن "أوذيس" لصاحب أعمال باهرة ، ولكن أحسنها أثراً وأجملها وقعاً ، هذا العمل الذى أخرسك به وأدبك أيها الثرثار الوقح » .

واستأنف « أوذيس » الحديث فقال مخاطباً « أجاممنون » :

— « ما من شكٌ فى أن الإغريق يريدون أن تكون اليوم أحقرَ الملوك شأنًا . إنهم ينتحبون انتحابَ النساء والأطفال فى سبيل الرجوع إلى وطنهم ، ولا جدال فى أننا جميعًا نودّ او نعود إلى ديارنا بعد أن غبنا عنها تسع سنوات ، ولكن أليس من العار أن نسلخ هذه السنوات فى حرب ضروس ، ثم نرجع منها صفرَ الأيدى ، فاصبروا قليلاً أيها الشجعان ، واشحذوا غرار عزائمكم تسقط "طروادة" فى أيدينا . هل تذكرون اليوم الذى ركبنا فيه غاربَ البحر إلى "طروادة" ؟ وهل تذكرون المشهد العجيب الذى قُدِّر لنا أن نراه ؟ ها أناذا أذكركم به : كنّا نقدّم الذبائح إلى الآلهة عند سفح دوحة عظيمة وحول نبعة صافية ، فرأينا حيّة رقطاء ، وعلى ظهرها بُقعٌ من الدم ، تقفز من المذبح إلى الدوحة ، وكان فى قمّة الشجرة عُشٌّ فيه ثمانية طيور صغار ، وكان تاسع تلك الطيور أمّها التى بسطت جناحيها فوق أفراخها فوثبت الحيّة إلى العُشّ ، والتهمت الفراخ الثمانية ، ثم ثنّت بالأمّ فابتلعتها وكانت ترفرف فوق صغارها حزينة متألمة ، ولكن شاءت الآلهة أن تتحوّل الحية بعد ذلك إلى قطعة من الحجر .

ذلكمُ المشهد ، وضعته الآلهة تحت أعيننا رمزاً إلى مستقبل كنّا مُقبلين عليه ، ولقد فسّره لنا عرّافنا "كلخاس" فقال : ستحاربون فى "طروادة" تسع سنوات عددَ الطيور التسعة التى التهمتها الحية ، فكل طائرٍ بسنة ، وفى السنة العاشرة تقع "طروادة" بين أيديكم كالثمرة

الناضجة . فلْنبتْقَ إذنْ يا إخوان حتى نحقق أملنا المرجوّ » .

فقابل الإغريق خطاب « أوذيس » بالتصفيق والهُتاف ، ووَصَلَ رَجْعُ الصَّدَى إلى أواسط البحار .

ونهض « أجاممنون » فقال يخاطب الجند :

— « اذهبوا الآن ، وتناولوا طعام الإفطار ، واستعدوا للمعركة . وليشحَذْ كلٌّ منكم رُمْحه ، وليُعِدَّ تُرْسه ، وليسْهرْ على عَلَفِ الخيل وحُسْن حال المركبات . ولئن حدَّثت أحدكم نفسه بالبقاء بعيداً من المعركة والاختباء على مقْرُبة من السُّفُن ، ليكونَنَّ طعامًا للكلاب وجوارِح الطير » .

فردَّ الإغريق على الخطاب بهُتاف دَوِّى كالرعد ، ثم تفرقوا وأوقدوا النيران ، وأعدّوا الطعام ، وقدّموا للآلهة القرابين ، راجين منها أن تُنْجِيهم من الموت فى المعركة المُقْبِلة .

وذَبح « أجا ممنون » بقرة سمينة ، وقدَّمها قربانًا للإله « زَفْس » وناجاه بهذا الدعاء :

— « أيها الإله "زَفْس" العظيم ! أنت يا منْ يَجْمَع السُّحُب ويَجْعَلها رهْنَ إشارته ، مُرِ الشمس ألاّ تغيب قبل أن نَهْدِم قصر "فريام" ونُشْعِل النار فى أسوار "طروادة" » .

ولكن « زَفْس » لم يكترثْ لدُعائه ولا وَعَد بالاستجابة له .

واحتشد الإغريق ، ونظَّمُوا صفوفهم للمعركة ، وجالت « مينرفا »

ربـّة العينين الزرْقاوين بين الجنود ، تشجـّعهم وتنفخ فيهم روحَ البسالة والإقدام ، وتحثـّهم على القتال والنصر .

وتحرك الجيش ، ولمع تحت أشعـّة الشمس بريق السلاح ، كما يلتمع اللهـَب فى حريق يأكل الأشجار والغابات ، وانتشرت الكتائب فى جوانب السهل انتشارَ قـُطـْعان الإوَزّ البـَرىّ حين تتطاير فوق المـُرُوج زَرافات ووُحـْدانـًا .

وبلَغت الجـَلـَبـَة منتهاها ، ورجـّعت الأرض من تحت أقدام الرجال وسـَنابك الخيل دَوِيـًّا يشبه الزّئير ، وما زال الجيش يسير قـُدُمـًا إلى غايته ، حتى اعترضه نهر « ساكامندر » فتوقف يستريح على طول ضِفافه .





٤

تقدّم الطّرواديّون إلى لقاء الإغريق ، وتأهَّبُوا لخوض المعركة ، فامتلأ الفضاء بعَجيجهم ، وغصّت الساحات بكتائبهم الكثيفة ، هادرةً كالموج ، زاحفةً كعصائب الطَّيْر عندما يطردها أوّل مطر الشتاء فتجنح إلى جِواء البحار .

وكان الإغريق يسيرون إلى لقائهم متلازمين كالبُنْيان المرصوص ، يتحرّقون شوقًا إلى القتال وإلى النصر .

وكانت سحائب النّقْع الذى تُثيره أقدامهم تَلُفُّهم فى طيّاتها فلا يتبيبون ، مِثْلَ الضَّباب الذى يتصاعد من قِمَم الجبال ، فيحجب

الرؤية إلى أبْعَدَ من رَمْيَة حجَر .

وأخيراً التقى الجيشان وجْهًا لوجه ، وخرج من صفوف الطّرواديّين رجلٌ جميل القَسَمات ، متألّق البشَرَة هو « فاريس » الذى خَطَفَ من « منيلاوس » أعَزَّ من عنده فى هذه الدنيا .

وكان على كَتِفَيْه جِلْد فَهْد يعلوه قوس وسيف ، فوقف وِقْفَةَ المقاتل ، وسدّد سهمًا من سهامه إلى غير هَدَف ، وطلب أن يُنازِله نِزالَ رجل إلى رجل ، أشْجَعُ الإغريق وأقواهم .

وحين رآه « منيلاوس » سَرَت الفرحة فى أجلاده ، وانقلب إلى أسَد جائع ، يرى الفريسة مُقْبلةً إليه فيُمَنّى النفس بالشحم واللحم .

إن « فاريس» هذا صاحب العينين الزّرْقاوين ، والجدائل الشُّقْر ، هو عدوه اللّدُود ، فيا لها من فرصة سانحة يحاسبه فيها على ما ارتكب حسابًا عسيراً ، فقفز من مركبته وهو مُدَجَّج بالسّلاح ، ومشى إلى لقاء خَصْمه العَنيد .

وعندما رأى « فاريس » أن الرجل الذى أقبل ينازله هو زوج « هيلانة » التى اختطفها منه وجلله بالعار ، اضطَّرب قلبه ، وخانته شجاعته ، وهرب راجعًا إلى صفوف الطرواديّين كالمسافر الذى يلتقى بِحيّة من الحيّات فى بعض دُروب الجبال ، فتعلو وجْهَه صُفْرَةَ الهَلَع ، ويُطْلِق ساقَيْه للرّيح هَرَبًا منها .

فهُرِع إليه أخوه « هكطور » وعنّفه تعنيفًا شديداً وهو يقول :

— « يا للعار! أليس فيك من حسن الصفات إلا وجهك الجميل ؟! أتريد أن يَسْخَر منا هؤلاء الإغريق أصحاب الشعر الرَّسِيل ، ويحسبوك خِلْواً من القوة والعزم والبسالة ؟ أجبان أنت ؟ أوَلستَ أنت الذى اجتزت البحار منذ حين ، وذهبت تَخْطَف أجمل الجميلات من زوجها ، حتى رميتنا فى رِبْقة الرزايا والأهوال ؟ إن قيثارتك ، وشعرك الأشقر ، ووجهك الصَّبيح ، وكل ما وهبتك إياه " ڤينوس " من أسباب الجمال ، لن ينفعلك فى شىء إذا كان عليك أن تنازل رجلاً من الرجال ! والحقّ إن الطّرواديّين لأهل خجل وحياء وسَماحة ، فما كان أجْدَرَهم أن يواروك فى التّراب اقتصاصاً منك على ما سببته لنا من مِحَن وكوارث ».

فقال « فاريس » يجيبه عن مَلامه :

— « أى " هكطور " العظيم! إنك لَعَلَى حقّ فيما تسوقه إلىّ من عَذْل وتعنيف ، ولست بمنكر ذلك ، ولكن لا تَلُمْنِى على ما منحتنى " ڤينوس " إياه ، فما من رجل يستطيع أن يرفض لربّة الجمال والحب هِبَة من هِباتها . . . وكيفما كان الأمر فها أنا ذا عائد إلى النِّزال ، وليَقِف الإغريق والطرواديون مَوْقِف المتفرّج على صِراع بينى وبين " منيلاوس " فى سبيل " هيلانة " الحسناء ، ولتكن هى وكنوزها من نصيب الغالب ، على أن تستَتِبّ المودة والسلام بعد ذلك بين الشعبين ، فيعود الإغريق إلى بلادهم راضين ناعمى البال ، ويحتفظ الطرواديون بأرضهم سالمين غانمين » .

فاختلج قلب « هكطور » فرحًا لدى سَماعه هذا الخطاب ، فتقدَّم إلى جَمْهَرة المقاتلين ، وهدَّأ من ثائرتهم ، ولكن الإغريق أمطروه بوابلٍ من السهام والحجارة ، فصاح فيهم « أجا ممنون » بصوت دَوَّى كالرعد قائلاً :

ـ « توقّفوا . توقّفوا . إن " هكطور " النبيل صاحب الخُوذة البرّاقة لديه ما يقوله » .

فخيّم السكون على الجيشين ، وأنْهَى « هكطور » إلى المحاربين باقتراح أخيه ، فانبرى « منيلاوس » يقول :

ـ « إن رعونة " فاريس " قد جرّت عليكم ما تحملتموه فى سبيلى من ثقيل المكاره والأحداث ، ولكنّنى أرَى الآن أن نهاية الحرب قد اقتربتْ ، فاتركونا نتبارز نحن الاثنين ، إلى أن يموت أحدنا نزولاً عند حُكْم القَدَر ، فلنقدّم للإله " زَفْس " القرابين ، ولتكنْ معاهدتنا معقودة مع " فريام " دون أبنائه ، ذلك أنى لا أثق بكلامهم . أمّا " فريام " ملك " طروادة " فهو شيخ جليل ، ولسوف يفكّر طويلاً قبل أن يَنْكُث عَهْده ويهين الآلهة » .

فَرِحَ الإغريق والطرواديون بهذا الحلّ الموفّق السعيد ، فأعادوا المركبات إلى صفوف الجيش ، ونزعوا أسلحتهم وطرحوها أرضًا ، ومضى نَفَرٌ من المحاربين يدعون الملك « فريام » ويجلبون الأنعام التى ستُقدَّم ضحايا للآلهة .

وفى هذه الأثناء ، بعثت الرّبّة « هيرا » إلى « طروادة » رسولها « إيريس » متنكّرة فى زيّ « لاوديس » أجمل بنات « فريام » .

دخلت « إيريس » على « هيلانة » فوجدتها تَنْسج بيديها الناعمتين معطفًا كبيراً من الصّوف الأرجواني ، وتخُطّ بإبْرتها على ذلك المعْطف مواقع المعارك التى خاضها الإغريق والطرواديّون من أجلها .

فقالت لها « إيريس » :

– « اتبعينى أيتها الملكة النّبيلة تشهدى أمراً عجبًا ، فالمقاتلون الذين كانوا منذ قليل يتحرّقون شوقًا إلى القتال ، جلسوا هادئين لا يُبْدون حراكًا ، متكئين على تُرُوسهم ، غارسين حرابهم فى الأرض ، فلا قتال ولا نزال إلا بين رجلين هما " منيلاوس " النبيل و " فاريس " الجميل ، فسوف يقتتلان وحْدَهما من أجلك ، وسوف تكونين زوجة الغالب » .

وكان لهذه الكلمات أثرها فى قلب « هيلانة » ، فأثارت فيه كوامن الشّجون .

ذكرت « هيلانة » فى مرارة وألم وطنها الأول ، وزوجها « منيلاوس » ، ووالديها وطفلتها الحبيبة « هرميون » ، وعصف بها الحنان فسالت الدموع من مُقْلتيْها ، ثم نهضت فجأةً وتلفحت بشملة طويلة ، وخرجت من القصر تصْحبُها وصيفتان من وصيفاتها ، وسارت إلى حيثُ يعسكر الجيشان .

ومرّت فى طريقها على مكان جلس فيه « فريام » ، ومن حوله

بعض الشيوخ الطّرواديّين الذين أبعدتهم سنّهم الطاعنة عن مَيْدان الحرب ، فلما اقتربت منهم فى ثوبها الأبيض الناصع ، دُهِشُوا من جمالها الخلاَّب الفتّان وقالوا فيما بينهم :

— « لا عَجَبَ أن يقاسى الإغريق والطّرواديّون الأمَرَّيْن ويتعرّضوا للموت فى سبيل امرأة على مثل هذا الجمال . . . على أننا نتمنى أن تحملها سُفُن الإغريق إلى وطنها ، وتكفينا شرَّ القتال ، وتحفظ لنا أبناءنا » .

أما « فريام » فوجه إليها الحديث قائلاً :

— « تعالَىْ يا ابنتى العزيزة ، واجلسى إلى جانبى ، فمن هنا تستطيعين أن تَرَىْ زوجك الأول وأصدقاءك وأهلك . إنى لا ألومك على كل ما جلَبْتِه علينا من مصائب ، فما أنت مسؤولة عنها ، وإنما هى إرادة الآلهة التى اختارتك أداة ذلك الشقاء . . . والآن أخبرينى إن شئت عن أسماء هؤلاء الأبطال الذين أراهم شاكى السّلاح فى صفوف الإغريق » .

فقالت له حزينة كئيبة :

— « أبَتِ العزيز ! وددت لو اغتالتنى المنيّة يومَ هجرت وطنى وابنتى وجميع من أحبّ لأصْحَب ابنك إلى هذه الديار . . . ولكن أصغِ بسَمْعك إلىَّ أطْلِعْك على ما تريد : هذا المحارب الذى تراه فى المقدّمة هو " أجاممنون " الملك القوىّ ، والرامى الماهر ، إنه شقيق من



كان زوجى الأوّل . . . يا لشقاوتى ! كيف أقْدَمْتُ على هجران أهلى وبلدى ؟ ! »

واستمرّت « هيلانة » تعرّفه بمجموعة من أبطال الإغريق المعروفين بالبطولة والشجاعة من مثل « أوذيس » وسواه ، وتذكر له أسماءهم ودموع الحنان والنّدَم تنهمر على خدّيها حتى صاحت فجأة .

— « ويلاه ولكن أين أخواى ؟ أين أخى " كستور " مروّض الخيل ، وأين أخى " پولكس " الملاكم الذى لا يُقْهَر إننى لا أراهما » .

وكانت تجهل أن أخوَيْها كانا من سكّان القبور .

وجرى بعد ذلك تقديم الذبائح للآلهة ، وأعْقَبَه القَسَم الذى أدّاه كلٌّ من « أجا ممنون » و « فريام » على رَعْى العهد الذى قطعاه على نفسيهما ، ثم ركب « فريام » مركبته وتوارى عن الأنظار وهو يقول :

— « لا . لا . لا أستطيع أن أشهد النِّزال بين " منيلاوس " وولدى . . . خيرٌ لى أن أعود إلى " طروادة " الخالية من أبطالها . . . فليس إلا " زَفْس " والآلهة الخالدة مَنْ يعلم عاقبة هذا الصراع » .

وتقدّم « هكطور » و « أوذيس » يحدّدان موقع القتال الذى سيدور بين الخَصْمين ، ثم أجرى « أوذيس » القُرْعة على من يبدأ بالرَّمْيَة الأولى ففاز بها « فاريس » .

وتحاجز الخَصْمان فى عُدّة كاملة من السلاح ، وحِقْد تَغْلِى مَراجِله فى قلبيهما ، ويَدُ كلٍّ منهما مُمْسِكة بحَرْبته .

وبدأ « فاريس » القتال ، فشدّ قوسَه ، وأطلق منه سهماً أصاب تُرْس « منيلاوس » ولكن الترْس كان من فولاذ فطاش معه السَّهْم .

ورمى « منيلاوس » حَرْبته مستشفعاً بالإله « زَفْس » وهو يقول :

— « أيّها الإله العظيم ! امْنَحْنى القوّة والبأس لأنتقم مِمَّنْ وَصَمنى بِوَصْمة العار ، حتّى يكون فى المستقبل عِبْرَة لكل من تحدّثه نفسه بخيانة الصديق وتدنيس حُرْمة الضيافة » .

فاجتازت الحَرْبة تُرْس « فاريس » واخترقته ، ومزّقت جانباً من ثوب الطروادىّ ، ولولا حركة خفيفة قام بها « فاريس » لما نجا من الموت .

واستَل « منيلاوس » عندئذ سيفه المُحلّى مَقبضه بالذّهب والفضّة ، ورفعه عالياً وأهوى به فى ضربة قاضية على قِمة خُوذة « فاريس » ، فتحطم النَّصْل ، وطارت قِطَعُه من يده ، فصاح بالإله « زَفْس » مستجيراً وقال :

— « أيّها الإله " زَفْس " ما أقْسَى فؤادك وأغْلَظَ كَبِدَك ! ظننتُ أنى منتقم لنفسى من " فاريس " فطاش السهْم وتحطم السيف فى يدى » .

وفى الوقت الذى كان يناجى « زَفْس » بهذا الدعاء ، انْقَضّ على « فاريس » وأمْسَكَ بقمة خُوذته ، وجَرَّه إلى جانب جيش الإغريق . وكان الرّباط الثمين الفخْم الممتدّ تحت ذقن « فاريس » يضغط على

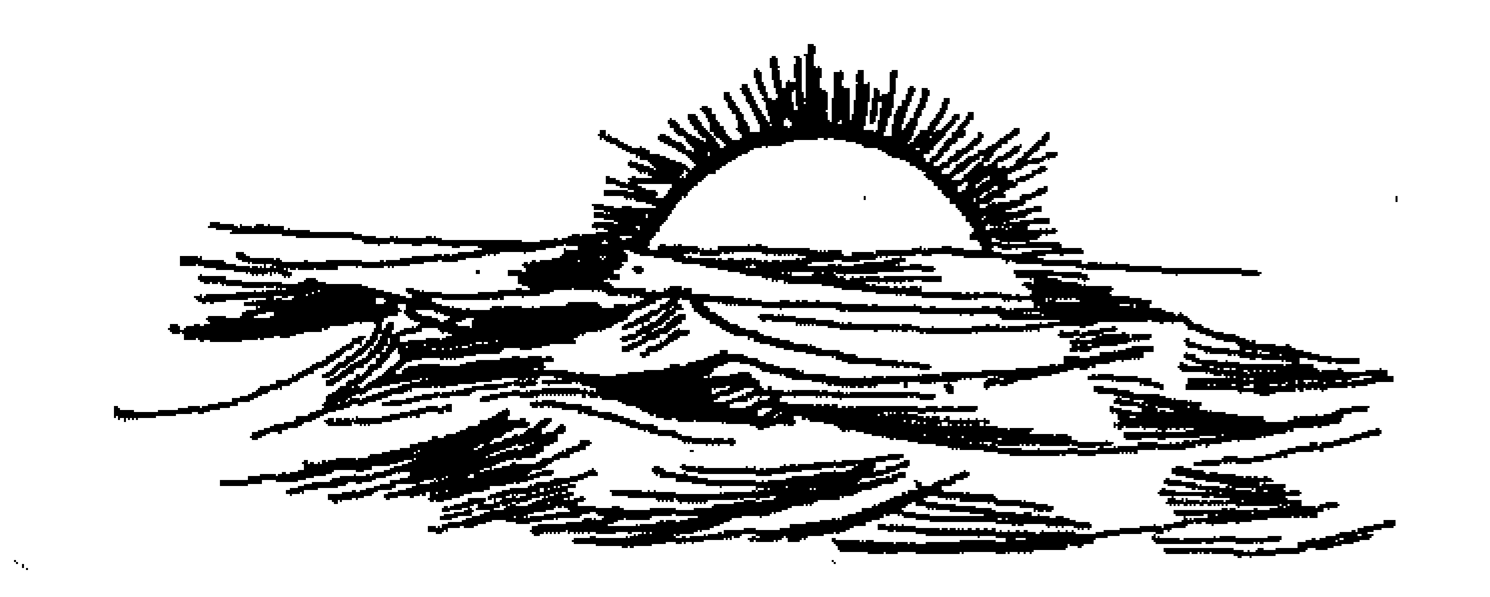
عنقه حتى ليكاد يخنقه ويميته أشنع ميتة . ولكن « ڤينوس » استخدمت سلطانها فانقطع الرباط ، وبقيت الخُوذة الفارغة فى يد « منيلاوس » فأدارها مَثْنَى وثُلاثَ ، وألقاها عند أقدام رفاقه ، وكرَّ راجعًا على عدوّه ليُبيِّت فى ضلوعه سِنان حَرْبة جديدة .

غيرَ أن « ڤينوس » سارعت إلى نصْرة « فاريس » فأطلقت من حوله ضبابًا كثيفًا حَجَبه عن الأنظار ، وقادته إلى قصره ، فى حين كان « منيلاوس » هائجًا هَيَجان الثَّوْر ، يبحث عنه ويحاول أن يَلْحَق به ولكن هَيْهات ، فما من أحد من الطرواديين رآه ، ولو أنهم رأوْه لما فكّر واحد منهم فى إخفائه ، فكلهم كانوا يكرهونه ويُضْمِرون له الكُرْه والبَغْضاء .

وعلى الأثَر ، صاح « أجا ممنون » قائلاً :

— « اسْمَعُوا أيها الطرواديون ! الواقع أن النصر فى جانب "منيلاوس" فأعيدوا إلينا إذنْ "هيلانة" وكلّ ما تملك من كنوز ، وادفعوا لنا جِزْيةً عادلة لِقاء ما تجشّمْناه من عذاب وبَلاء » .

فصفّق له الإغريق طويلاً ، وأردفوا التصْفيق بالهُتاف والتهليل .







بينما كان « منيلاوس » يجدّ فى تعقّب « فاريس » ، كانت الربّة « هيرا » والربّة « مينرڤا » ، والغَيْظ يملأ صدريهما ، مجتمعتين تتشاوران وتتداولان ، فيما يجب عمله نِكايةً بالطّرواديّين .

فما كانتا ترغبان أن تَضَع الحرب أوْزارها وينجو « فاريس » من العقاب . فطارت « مينرڤا » من « الأولمب » هابِطَةً إلى الأرض فى سُرْعة النجم الهاوى تحمل إلى الرجال وَحْىَ الإله « زَفْس » .

فلما وصلت إلى بنى البشَر ، تنكّرَت فى زِىّ مقاتل ، وراحت إلى الطّروادىّ « بندارس » وهو من أمْهَر الرماة تحدّثه وتقول له :

ـ « استَمع لى يا " بندارس " . . . يجب عليك الآن أن ترمى " منيلاوس " بسهم يخترق نَحرَه ويُردِيه قتيلاً عند قدميك ، فتكسب مجداً لا يضاهيه مجد ، وتطير لك فى الطرواديّين سُمْعة عظيمة ، ويغمرك " فاريس " بالهبات والعطايا » .

فجازت الحيلة على « بندارس » ، وهزّته كلمات « مينرڤا » فأخرج قوسه المصنوعة من قَرْن وَعْل كان قد قتله فى بعض مطارح الصيد ، وركّب فيها سهماً جديداً حادّاً وصوّبه إلى هدفه تصويباً مُحكَماً ، وشدّ القوس فى عُنْف وقوّة ، وانطلق السهم انطلاق الصّاعقة الجائحة ، وكاد يصيب قلب « منيلاوس » فى الصّميم لولا سَهَرُ « مينرڤا » ويَقَظَتُها ، فلم يخترق السّهم إلا حِمَّالة السيف ، فمزّق عُقدَتها ، ومَسّ جَنْبَ « منيلاوس » مسّاً رفيقاً ، فسالت منه بعض قَطَرات من الدم . ورأى « أجا ممنون » تلك القَطَرات فشَحَبَ لونه خوفاً على أخيه ، ولكن أخاه هدّأ رَوْعَه وقال له :

ـ « اطمئنّ بالاً يا شقيقى ، فالجرح غير خطير ، والفضل فى نجاتى إلى تُرْسِى وحِزامى وحِمَّالة سيفى » .

واستُدْعِى للجريح طبيبٌ من مَهَرَة الأطباء ، فغَسَل الجُرْح ، ومَسَحَه بناجع المراهِم ، ثم لفّ عليه الضِّمادات .

وبينما كان الطبيب يُداوِى جُرْح « منيلاوس » ، تَوجّه «أجاممنون» إلى جنده فوقف فيهم خطيباً وقال :

— « إلى السّلاح . . . فالطّرواديّون نقضوا معاهدة الصلح ، ولسوف نُنْزِل بهم صارِمَ العِقاب ، فالإله " زَفْس " لا يحمى الخَوَنَة . . . فسيروا معى نُعْمِل فيهم أسِنَّة الرّماح ، ونطرح جثثهم طعامًا للصُّقور والعِقبان » .

ولَحَظ « أجا ممنون » أن المستمعين له فريقان : فريق موفور الحميّة ، جيّاش الحماسة ، وفريق متردّد فى خَوْض المعركة . وكان فى هؤلاء الرّاغبين عن القتال « ديوميدس » فصاح فيه « أجا ممنون » وقال :

— « أتريد أن تَهْرُب من المعركة يا "ديوميدس" ؟ ، إنى لأكذّب عينى فيما أراه من إحجامك . . . أين أنت من أبيك العظيم ؟ فما كان يُرَى عند نشوب القتال إلا فى الطليعة . إن ابنه قد يفوقه فى عَذْب الحديث وحُلْو الخطاب ، ولكنه لا يعادله بأسًا وبسالة ! . . »

فلَزِم « ديوميدس » جانبَ الصَّمْت إجلالاً منه لرئيس الإغريق الأعْلَى ، وكان على مَقْرُبة منه رفيق من رفقائه ، فثار وقال :

— « لا تَكْذِبْ يا " أجاممنون " ! فأنت تعرف الحقيقة كما نعرفها ، فنحن أشْجَعَ من آبائنا وأشَدُّ مِراسًا فى الحروب » .

فلم يؤمِن « ديوميدس » النبيل على هذا الكلام فقال :

— « اسْكُتْ يا صديقى ولا تَمْضِ فى زَهْوِك ! إن " أجاممنون" يعرِف ما يفعل ، فواجبه يقتضيه أن يُلْهِب فى ضلوعنا نار العزم إلى القتال ، وهو يعرف كذلك أى مجد نظفَر به إذا قضى الإغريق على

الطرواديين ، وفتحوا عاصمتهم ، ويعلم أيضًا أى وَصْمة عار نُوصَم بها إذا مُنِينا بالهزيمة والخُسْران . فهيَّا إلى السلاح إذنْ ثم هيَّا إلى القتال ! »

وقفز « ديوميدس » من مركبته ، فسُمعت لعُدَّة السلاح التى يرتديها قعقعة عظيمة . ومشى المحاربون الإغريق فى صفوف كثيفة صفًّا بعد صفّ ، مثل أمواج البحر عندما تَهْدِر متلاحقة متلاطمة ، وتتكسّر فى زَبَد لمّاع عند أقدام الصخور .

وتقدّموا فى هدوء وثبات رجلاً بعد رجل ، وجواداً بعد جواد ، على حين كان الطرواديون كالنعاج الثاغية الحائرة يترقّبون وَقْعَ الصِّدام .

وكان إله الحرب « مارس » يروح ويغدو فى وسط الطرواديين كالحَ الوجه ، عابس الجبين ، ظاهر الغضب . أما « مينرڤا » فكانت تجول فى صفوف الإغريق ، وتلمح الاضطراب والفَزَع منتشرين فى الجيشين .

والتقى الجيشان ، واشتبك المتحاربون ، ودار الطعْن والضّرْب حتى صبغ الدم أديمَ الأرض .

وشرع المحاربون يتساقطون واحداً بعد آخر ، تساقطَ الشجر الذى تقطعه من جِذْعه فأسُ الحطّاب ، فكان الرجل وعدوّه يرتميان جُنْبًا إلى جَنْب ، ويضمهما ثرى واحد ، وينهال عليهما تراب واحد .

ورأت « مينرڤا » صاحبة العينين الزّرْقاوين ، أن « ديوميدس » كادت تخور قواه وتتضعضع ، فهُرِعَتْ تسكب فى أضلاعه قوّة لا تُقْهَر ، ثم جعلت خُوذَته تتألق بنورٍ باهر تألّقَ نجمٍ فى ليلة صيف .

وكان بين الطرواديين شقيقان يقاتلان ببسالة ومهارة ، فجرى أحدهما إلى « ديوميدس » وكان يحارب راجلاً ، فرماه بسهم أخطأه ، فردّ عليه « ديوميدس » بسهم أصاب منه مَقْتَلاً ، فسقط الطّروادىّ الشاب جُثّة هامدة ، ولاذ أخوه بالفِرار ، تاركًا مركبته الفخمة ، فاستولى « ديوميدس » عليها فى الحال ، وعَهِد إلى رجاله فى حراسة خَيْلها الأصائل . وكانت « مينرڤا » تراقب المعارك عن كَثَب ، فذهبت إلى أخيها « مارس » وأمْسَكتْ بيده وقالت :

— « لِنَدَع الإغريق والطرواديين يتقاتلون وحدهم ، فصواب الرأى ألاّ نُقْحِم أنفسنا فى عِراكهم ، ولا فيمن يريد أبونا " زَفْس " أن تكون الغَلَبة له » .

قالت هذا وخرجت به من مَيْدان القتال ، وَمشَيا مَعًا على ضِفاف النهر ، وبقى الإغريق والطرواديون يواصلون النزال دون عَوْن من الآلهة .

وتنافس الأبطال ، وحَصَد الموت منهم عدداً كبيراً ، وكلهم حارَبَ بَطَلاً ومات بَطَلاً ، وأبْلَى « ديوميدس » أحسن البَلاء وهو يكِرّ ويفرّ ، ويطعن ويضرب ، ويشدّ القوس ويُطْلِق السهام ، ويَصْرَع كل من رماه حظّه تحت متناول سلاحه ، فكان ينقضّ انقضاضَ الصّواعق يمينًا وشمالاً ، ويَطِيح بالرؤوس والأعمار .

لَمَحَه « بندارس » النّبال الحاذق ، فخَفّ إليه ورماه بنبلة

اخترقت تُرْسَه ، وأسالت على جوانبه الدم ، فانتفخت أوداج « بندارس » كِبْراً وخُيَلاء وصاح :

— « هنيئًا لكم أيّها الطرواديّون الأبطال ، فقد أصبْتُ أشْجَعَ الإغريق وأحْذَقَهُمْ رِماية ، ولن يعيش إلا دقائق معدودات بعد جُرْحِه العميق » .

وبينما كان « بندارس » يزْهَى ويفتخر ، وثَبَ « ديوميدس » من المركبة إلى الأرض ، وقال لسائق المركبة :

— « انتزعْ سريعًا من كتِفِى النبْلة الحادّة » .

فانْتُزِعتَ النبْلة على الفور ، وتدفّق من الجُرْح دَمٌ أسود فصاح :

— « يا ربّة الحكمة استجيبى لدعائى . . . ساعدينى اليوم كما ساعدتِ أبِى من قَبْل . . . مكّنينى أن أغْمِد سهمى فى صدر مَنْ جرحنى ، وأن أراه يفارق الحياة » ! سمِعَتْه « مينرڤا » وقالت له :

— « تشجّعْ يا " ديوميدس " وقَرَّ عينًا ، فسوف ألبّى نداءَكَ ، وأستجيب لدعائك ، ولكن إن قابلتَ أحد الآلهة فى المعركة فتجنَّبْه واحْقِنْ دمه إلا " ڤينوس " » .

فرَجع « ديوميدس » إلى ساحة المعركة ، وعاود القتال هائجًا كالأسد حتى غطّى الأرض بضحاياه ، واستولى على خَيْلهم ، وكلّف رجاله أن يَسُوقوها إلى سُفُن الإغريق .

واستدار عندئذ إلى « بندارس » زعيم من زعماء الطرواديين هو

« إيناس » ابن محارب إنسان والرّبة « ڤينوس » وقال له :

— « ماذا تعمل إذنْ بقوسك وسهامك يا " بندارس " يا أحْذَقَ الرماة ؟ كرِّ على هذا المجتاح الذى يُطيح بالرقاب ، وينشر الموت فى صفوفنا فلعلك بالغ منه مَقْتَلاً ! » فقال « بندارس » :

— « يُخَيَّل إلىّ أنه "ديوميدس" فقد نازلته ورميته بسهم حادّ ، ولكننى لم أقدر أن أجرحه جرحاً مميتاً ، إنه أشبه بإله غضوب منه بإنسانٍ من البشر » . فقال له « إيناس » :

— « خَلِّ عنك يا " بندارس " ولا تكن متشائماً ! خُذْ مكانَك إلى جانبى فى مركبتى ، وأمْسِك بالسَّوْط والأرسان ، ودعنى أنازل أنا " ديوميدس " » . فقال « بندارس » :

— « كلاّ ! احتفظ بالسَّوْط والأرسان ، فجيادك متعوّدة حركة يَدِك ، ولعلها تَفْرَقُ إذا سمعتْ صوتاً غريباً ، فقُدْها أنت ، ودَعْنِى أقاتل أنا " ديوميدس " » .

وساق كلاهما المركبة إلى ناحية البطل الإغريقى ، فرآهما رفيق هذا يقتربان منهما فصاح مُحذِّراً :

— « إنى أرى محاربين شديدين يتّجهان صَوْبنا يا " ديوميدس " فلنرجعْ بمركبتنا القَهْقَرَى يا صديقى ولنتجنّب الموت ! »

فقال « ديوميدس » حانقاً غاضباً :

— « لا تحدّثْنى عن الفِرار فما فى عروقى دم هيّاب ولا جبان .

وثق أنهما لن يُفْلتا مني ، فإذا مكنتني "مينرڤا" من أن أصرعهما، فقِف الجياد ، واربْط الأرسان إلى أعلى المركبة ، وطِرْ إلى جياد " إيناس" وآتِ بها إلى صفوفنا ، فوالْحقّ ليس تحت الشمس خيلٌ فارهة مثلها » .

واقترب « بندارس » و« إيناس » من غريميهما ، وأطلق « بندارس » سهمًا صُلْبًا قويًّا اخترق تُرْس « ديوميدس » ونفذ إلى الدرْع ، فصاح فَرِحًا مبتهجًا :

— « لقد أصبتُ فؤادك هذه المرة ، ولسوف تموت على الأثَر » .

فأجابه « ديوميدس » فى هدوء وسكون :

— « كلاّ ! لقد أخطأتنى هذه المرة أيضًا » .

ثم رماه بنشّابة حطمت مِنْخَرَى « بندارس » وأسنانه ، وقطعت لسانه ، فسقط فاقد الروح ، واصطدمت عُدّة سلاحه بالأرض ، فسُمِعَ لها قَعْقَعَة مدوّية ، جفَلَت معها جياده فَجَرَت بعيداً منه . وقفز عندئذ « إيناس » من المركبة ، ووقف يحمى الجثة من أن يستولى عليها الإغريق أو يمثّلوا بها .

وعلى الفَوْر التقط « ديوميدس » بيده القوية حجراً ضخْمًا ورمى به « إيناس » فأصابه فى فَخذه ودَقّ عظامه ، ومزّق أجلاد جسده . فجثا « إيناس » العظيم على رُكْبتيه ، وتوقع الهلاك ، غير أن أمه « ڤينوس » لما رأت الخطر المُحْدِق به ، طَوّقتْ بذراعيها البَضّتين

جسم ابنها الحبيب ، وحملته بعيداً من مجال الطِّعان .

نزل عندئذ « ديوميدس » من مركبته ، ولحق بالربة « ڤينوس » ورماها بسهم أصابها فى كَتِفِها .

فصاحت متألمة ، وسقط منها جسم ابنها إلى الأرض .

وشاء حسن حظها أن يكون « أپولون » حاضراً غير منظور ، فاحتضنها بين ذراعيه ونأى بها عن المَيْدان بعد أن أطلق من حوله غمامة كثيفة .

فصاح « ديوميدس » قائلاً :

— « ابتعدى يا "ڤينوس" فالحرب ليست من شأنك ، وحسبك مجداً وفخاراً سِحْرٌ تخلبين به ألْباب الناس » .

واستمرّ يطارد « إيناس » وهو لا يعلم أى إله قوىّ يحميه ، وكان كلما اقترب من ضَالته المنشودة ارتدّ عنها خائبًا حسيراً حتى قال له « أپولون » بصوت دوّى كالرّعْد :

— « حَذارِ يا " ديوميدس " إنك تهاجم الآلهة ! »

وتراجع « ديوميدس » مغلوبًا على أمره .

وشاءت هنا الآلهة أن تخوض غَمَرات القتال فانحدر من « الأولب » كلٌّ من « مارس » و « مينرڤا » و « هيرا » واستقرّوا على أرض المعركة .

فصاحت « مينرڤا » تخاطب رجال الإغريق قائلة :

— « يا للعار والشَّنار ! عندما كان " أخيل " يحارب فى صفوفكم ، لم يجرؤ الطّرواديّون أن يتجاوزوا أبوابهم ، وها هم أولاءِ الآن يحاربونكم

على مقربة من سفنكم » .

وظلّتْ تستثير حماستهم بمثل هذا الكلام ، وتتنقل بين جماعة وجماعة منهم ، حتى وصلت إلى « ديوميدس » وكان قريباً من مركبته يُضَمِّد جراحه ، ويحول دون تدفق الدم منها ، فصرخت فيه قائلة :

— « أمّا أنتَ فلست جديراً بأن تنتسب إلى أبيك البطل الهُمام ! كان ينازل الأبطال وحده ، وأنت تنازلهم ، وأنا إلى جَنْبك ، خائرَ القوى ، واهنَ العزيمة ، مضطَّرب الفؤاد ! »

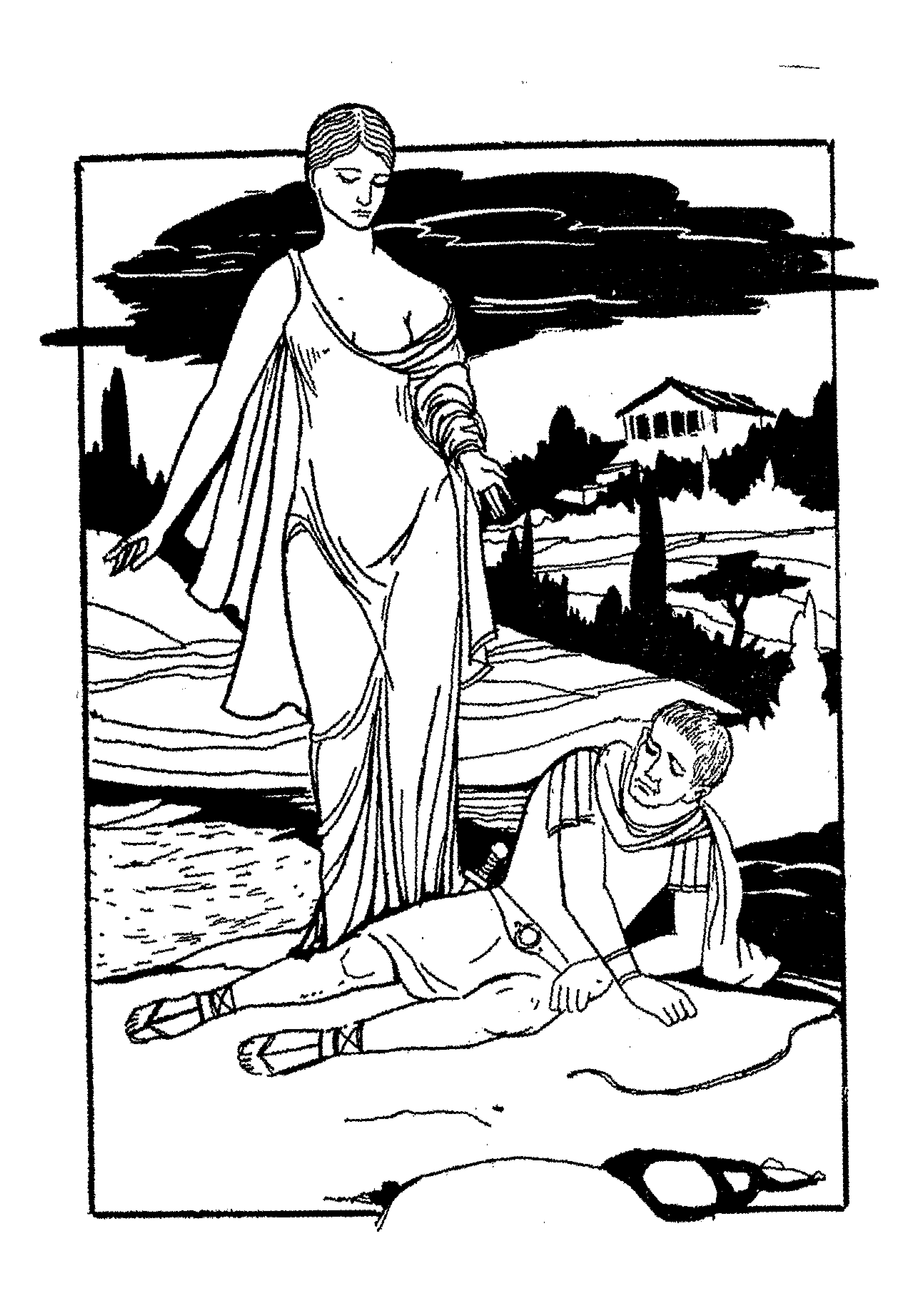
فقال لها :

— « كلاّ أيتها الرّبة الحكيمة ! فما أنا من يعْرِف الضعف والوَجَل فى صراع الأبطال . . . ولكن ألست أنت التى أنْهَيْتِ إلىّ ألاّ أحارب من الآلهة الخالدة إلا "ڤينوس" ؟ ! فلما رأيت الإله " مارس " متصدراً فى الحوْمة ، أمسكتُ عن القتال ، وأمرت رجالى بأن يتجنَّبوه وينسحبوا بصفوفهم إلى حيثُ تَرينَهم » .

فابتسمت له « مينرڤا » صاحبة العينين اللاّزَوَرْدِيّتَيْن وقالت :

— « أيّها البطل الحبيب إلى قلبى ! لا تخش "مارس" ولا أىّ ربّ آخر ما دمتُ معك ، فاتبعنى وطارد " مارس " وردَّ عليه ضَرْبة بضَرْبة ، فقد كان وعدنى أن يحارب فى صفوف الإغريق ، فأخْفَرَ عهده ، ونزل يحارب فى صفوف الطرواديين » .

ولم تَكَدْ تُتِمّ كلامها ، حتى اعتلتْ مركبة « ديوميدس »



وحَلَّتْ محل السائق ، وقادت جيادها الجامحة متّجهةً إلى « مارس » .

وكان « مارس » يَكيل الضَّرَبات للمحاربين ويصرعهم واحداً بعد آخر ، فلما رأى مركبة « ديوميدس » تجرى خَبَبَاً إليه ، خَفَّ إلى لقائها مَغيظاً مُحْنَقاً ، ورماها بسهم من سهامه الحادّة ، ولكن « مينرڤا » انحرفت بالمركبة جانباً فطاش السهم .

فسدّد إليه « ديوميدس » نشّابة قوية وجّهتها « مينرڤا » إلى خصر الإله « مارس » فأصابته ، وصاح من شدّة الألم صَيْحَةً تفوق أصوات عشرة آلاف محارب معاً .

ثم رآه الناس يجتاز أجواز الفضاء ، على غمامة سوداء ، عائداً إلى جبال « الأولمب » .





٦

بينما كانت المعركة تدور على أشدّها حامية الوَطِيس ، عاد « هكطور » ابن الملك « فريام » إلى أبواب « طروادة » فهُرِعَتْ إليه نساء المحاربين وبناتهم ، والْتَفَفْن حوله يتنسّمون منه أخبار القتال ، ويستطلعونه طِلْعَ أهليهم ، وكلٌّ منهنّ جازعة وَاجِلة ، تخشى أن يكون زوجها أو أبوها أو أخوها قد أصبح فى عِداد الأموات .

تابع « هكطور » سَيْرَه ، ووصل إلى باب قصره فرأى أمه مسارعةً إلى لقائه .

ولما اقتربت منه ، أمسكتْ بيده وقالت له فى حَنان ودَعة :

ـ « إنّك لمتْعَب مرْهَق يا ولدى ، ولهذا تركت ساحة المعركة . . تعالَ حتّى أسقيك بعض الشراب المنعش فتستردّ قواك » .

فقال « هكطور » البطل :

ـ « كلاّ يا أمّاه ! لستُ بحاجة إلى شراب ، فشجاعتى وقواى هى على ما عهدتِها فىّ . . . ولكن أعيرينى انتباهك واسمعى ما أقول : اذهبى أنت نفسك إلى هيكل الإلهة " مينرڤا " وقدّمى لها بعض الذبائح ، وتوسّلى إليها أن تَحْقِن دماء الطرواديين ، وأن ترأف بنسائهم وأطفالهم ، وأن تُبْعِدَ من أسوارنا " ديوميدس " القتّال . . . وسأذهب أنا فى هذه الأثناء إلى لقاء " فاريس " ... آه ! ليت الآلهة كانت قد أهلكته » .

ومضت أمّ « هكطور » تَصْحَبُها كوكبة من الأمّهات الأخْريات إلى هيكل « مينرڤا » يقدّمْن لها الصّلوات والذبائح . غير أن « مينرڤا » أصمّت أذنيها عن ابتهال هؤلاء الأمهات .

أما « هكطور » فمضى فى كامل سلاحه إلى منزل « فاريس » فوجده مشغولاً فى تراخ وهَوادة بصَقْل تُرْسِه ودِرْعه . و « هيلانة » إلى جانبه .

فاغتاظ « هكطور » من أن يرى أخاه لا يكترث للأحداث وقال :

ـ « من أجلك أنت يا " فاريس" يقتتل جنودنا ويموتون ، وأنت فى هذه الأثناء مُخْلِد إلى راحة مخجلة . فقُمْ واتبعنى . أتنتظر أن يَهْدِم الأعداء أسوارنا تحت جَمَرات النار وألسنة اللّهَب ؟ ! »

فقال « فاريس » :

— « أسْمِعْنى ما شئت يا " هكطور " من قارص المَلام فلَن تَعْدُوَ جانبَ الحقّ والصّواب . . . وها هى ذى " هيلانة " أيضًا كانت تحضّنى منذ قليل على أن أعود إلى القتال . فرويدكما حتّى ألْبس عُدّتى وأصْحَبك » .

فلَزِم « هكطور » الصّمْت غير أن « هيلانة » وجّهتْ إليه الكلام وقالت :

— « يا عزيزى " هكطور " ! ما أنا جديرة بأن أكون أختَك . . . لَيْتَنى متُّ يومَ وُلِدْتُ ونجا الناس من هذه الأرزاء التى تُمْطِرهم بها الآلهة ، فاسترح قليلاً يا عزيزى " هكطور " ، وارحم فؤادك الذى يتعذّب من جَرّاء خطيئتى وضَعْف " فاريس " . إنى لَعَلَى يقين من طائِلة العِقاب وحُكْم الزّمن علينا ، فسوف يَرْوِى الناس غداً فى أغانيهم وأناشيدهم قِصَص جريمتنا وشقائنا ! »

فقال « هكطور » :

— « لا يا " هيلانة " ! لا تطلبى منى أن أستريح ، فليس يَشْغَل فؤادى إلا همٌّ واحد هو أن أبدّد هموم شعبى ، وأكون له نِعْمَ المِعْوان. فعلىَّ أن أرجع إليه ، وأشاطره الجهاد ، فاستحثّى أنت زوجك ، واطلبى إليه أن يُعجِّل فى الذهاب رَيْثَما أمُرُّ بدارى ، وألْقَى على عَجَل زوجتى " أندروماك " وطفلى الصغير ، فقد يُقْضَى علىّ ألاّ

أراهما بعد اليوم ! »

فودّعها وانصرف . ووصل إلى منزله فلم يجد فيه زوجته ولا طفله ، فنادى الوصيفات وسألهنّ قائلاً :

— « أين سيدتكنّ ؟ »

فقالت له إحداهنّ :

— « يا سيدى " هكطور " ! انتهت إلينا أنباء تقول إن الإغريق يشددون النكير على الطرواديّين ، ويُضيِّقون عليهم الخِناق ، ويُجنِّدُون منهم الأبطال ، فاستولى الجَزَع على سيِّدتنا " أندروماك " وطارت إلى الأسوار ، حاملة بين ذراعيها طفلك العزيز ، ولعلها الآن فى مَكْمَنِها تراقب المعركة وتَذْرِف الدَّمْع السَّخِين » .

فاندفع « هكطور » خارجًا من قصره ، وأخذ يطوف بالأزقّة ، وقُبَيْل أن يَصل إلى قصر « فريام » رأى « أندروماك » مقبلةً نحوه ، فتصافحا ومكثا قليلاً جَنْبًا إلى جَنْب ، لا يَنْبِسان بِبِنْت شَفَة كأنَّ على رأسيهما الطَّيْر ، فابتسم « هكطور » للطفل مُلْقًى بين ذراعى أمّه ، وكان الطرواديّون قد أطلقوا على هذا الطفل اسم « أستيانكس » أى « ملك المدينة » تكريمًا لوالده الذى يَعُدُّونه منقذ الوطن . ولم تتمالك « أندروماك » من ضبط شعورها فأجْهَشَتْ بالبكاء ، ثم مسحتْ عَبَرَاتها وقالت :

— « إن شجاعتك يا " هكطور " ستُورِدك مواردَ الهلاك ، أفلا تَشْفَق



على هذا الطفل الصغير ؟ أوَلا تخشى أن أصبح أرملة ؟ آه ! ليتنى أموت معك إذا متّ ، فلن ألقى إذا عشتُ بعدك إلا العذاب والآلام .
واحسرتاه ! لقد فقدتُ أبى وأمى وأثكلتنى هذه الحرب إخوتى السبعة فأنت لى يا " هكطور " بمثابة الأب والأم والأخ بَلْهَ الزَّوْج الحبيب ، فارأف بنا وامنع زوجتك أن تصبح أرملة ، وجنّب ابنك أن يعيش يتيماً ! »
فقال لها « هكطور » :
— « يا زوجتى العزيزة : إنى لأعرِف هذا كله وأقدرُهُ حقّ قَدْرِه ، فشقاؤك شقائى ، ولكن أىّ عار أوصَمُ به إذا هربت من المعركة ، بل إذا فكرت فى الهرب منها ؟ لقد تعلمت أن أسْلُك مَسْلَك الأشراف ، وتعوّدت أن أقاتل فى الطليعة محافظةً على مجد أبى ومجدى ، ولكننى أشعر بأن هذا المجد سوف يزول ، فقلبى وعقلى يحدثاننى بأن " طروادة " لابدّ هالكةٌ منهزمة . فالحزن الذى سوف يملأ قلوب الطرواديين عند ذاك ، ويُفْعِم قلب أبى وأمى وإخوتى وجميع أهل الشهداء ، لن تبلغ مرارته فى إحساسى مرارة الحزن الذى سوف يستولى عليك ، يوم تفقدين زوجك وعائلك وسَنَدك فى الحياة ، أو يوم يسوقك أحد الإغريق أسيرةً مبهِينة ينهمر الدمع من مآقيها . . . آه ! إنّ الموت وسُكْنَى الأجداث لأهْوَنُ علىّ من أن أراك سَبِيَّة ذليلة ! »
والتفت إلى طفله يريد أن يحمله بين ذراعيه ، غير أن منظر الخُوذة التى يلبسها ، واللبْدَة الكثيفة المحكمة بها ، قد أرهب الطفل فبكى وأخفى

رأسه فى صدر أمه ، فتبسم والداه ، ونزع « هكطور » الخوذة عن رأسه ووضعها على الأرض ، وأخذ طفله بين يديه ، واتجه بروحه إلى « زفس » وبقية الآلهة الخالدة يناجيها بهذه الصلاة .

— « أيها الرب "زفس" ! وأنت يا أيتها الآلهة ! هبى ولدى نعمة الحياة ، وأطلعيه نباتاً صالحاً ، واجعليه فى الطرواديين القدوة المثلى ، وألقى حوله القلوب ، وامنحيه القوة والبأس يحكم "طروادة" ، ويحمى حوضها ، ويمشى بها إلى غايات الفخار .. واجعلى الناس يقولون عنه كلما عاد من ساحة الحرب ظافراً منتصراً " إنه أشجع من أبيه ، وأشد مراساً وأقوى روحاً" وهيئى لأمه أسباب السرور به والاعتزاز » .

ثم أعاد الطفل إلى أمه فضمته إلى صدرها دامعة العين ، مختلجة الفؤاد .

وأثر هذا المشهد فى قلب « هكطور » فأقبل على زوجته يرطب خاطرها ، ويلطف من أساها ويقول لها فى عطف وحنان :

— « لا تجزعى يا حبيبتى ، فالأعمار ملك الآلهة ، ولن يستطيع رجل أن يعجل فى موتى ولا أن يؤخر ، فعودى إلى البيت ، واستأنفى عملك فيه بين وصيفاتك ، وانهمكى فى شؤونه ، أما أعمال الكر والفر ، ومقارعة الفرسان والأبطال ، فمتروكة لرجال "طروادة" وأنا على رأسهم » .

ـ فلبس خوذته ذات اللبدة الخفاقة فى الهواء ، وسارت « أندروماك » عائدة إلى قصرها ، ملتفتة غير مرة بنظرها إلى الوراء ، مغرورقة

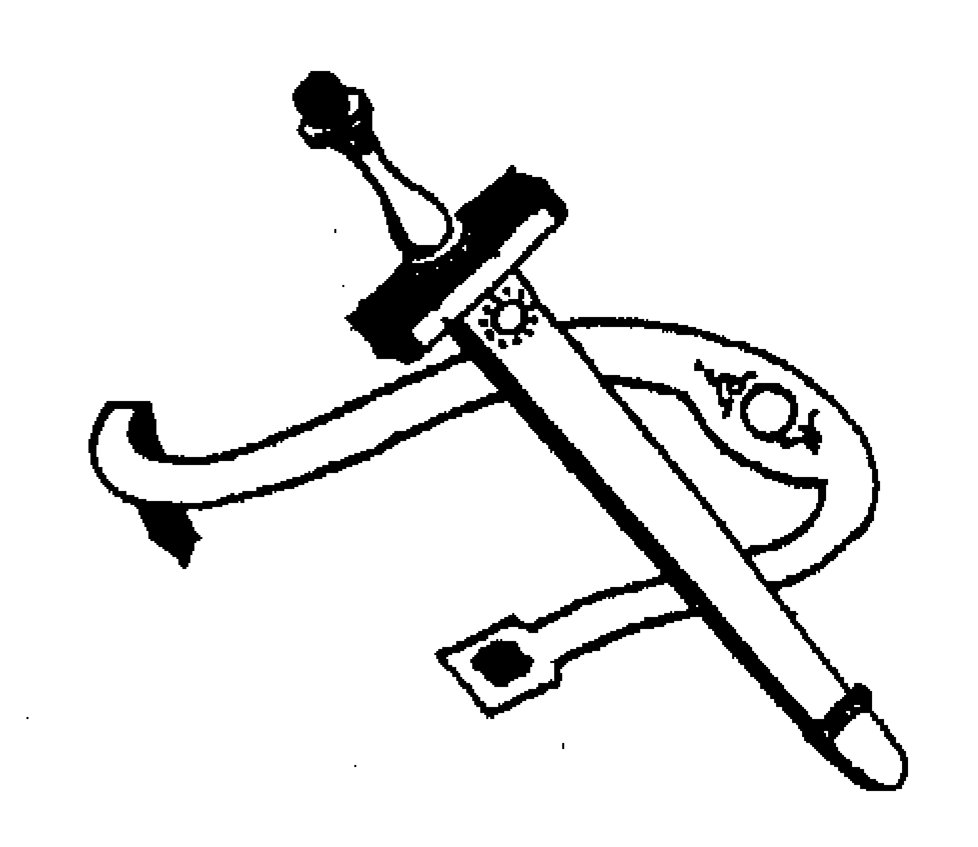
العين ، تودّع زوجها الحبيب ، وتودّع معه روحها الملَلُوع .

وكان « فاريس » فى هذه الأثناء قد غادر منزله ، مرتديًا عُدّة الحرب تنعكس عنها أشعة ساطعة متألقة مثلَ أشعة الشمس ، وجرى إلى حَوْمَة القتال كالجواد الجامح ، لا شكيمة تَقفُه ولا رَسَن ، ولَحِقَ بأخيه « هكطور » عالىَ الرأس ، فخوراً بجماله وثمين سلاحه ، حتى إذا اقترب منه قال له :

— « أخشى يا شقيق أن أكون قد أبطأت فى اللّحاق بك ! »

فقال « هكطور » البطل الكريم النّفْس :

— « ما مِنْ أحد يَشُكّ يا " فاريس " فى شجاعتك وبسالتك ولكن بقاءك بعيداً من المعركة أمر يَشينُك فى أعين الطّرواديّين . . . والآن هيّا بنا ولتَنْصُرْنا الآلهة على الإغريق ! »





٧

كانت « مينرڤا » تنظر من أعالى « الأولب » إلى المعركة الحامية ، الدائرة الرَّحَى بين المقاتِلين ، فهالها أن ترى الإغريق يتساقطون صَرْعَى واحداً بعد آخر ، تحت وابلٍ من سهام « هكطور » و « فاريس ».

فأثارت فى قلب « هكطور » الرغبة فى وقف القتال بين الجيشين ، والدّعوة إلى أن يبعث الأعداء رجلاً منهم يبارزه وينازله .

وحدث ما أرادت « مينرڤا » ، فأمر « أجا ممنون » و « هكطور » بوقْف النّزال ، وتحدّى « هكطور » الإغريق أن يُبْرِزوا له رجلاً

يقاتله ، وأردف دعوته قائلاً :

ــ « أيها القوم : إنى أشهد " زفس " على ما أقول ، لئن سقطت صريعاً فى هذا العراك ، إن للغالب أن يتصرف بسلاحى ، ولكن عليه أن يدفع بجثتى إلى أهلى ، ولئن خر هو صريعاً لأستولين على سلاحه ، وأردن جثته إلى ذويه ، حتى يحتفلوا بتشييع جنازته الاحتفال اللائق به ، وحتى يقام له على شاطئ البحر ، ضريح يزوره الناس فى المقبل من الأيام ، ويقولون عن ساكنه : " هنا يرقد رجل لقى حتفه بيد البطل هكطور " » .

سمع الإغريق هذا الكلام فالتزموا الصمت ، وخاف كل منهم أن يتبرز للبطل الطروادى ، فنهض « منيلاوس » ، وجمع سلاحه تأهباً للقتال ، ومضى يعنف الإغريق قائلاً :

ــ « ألا تخجلون يا قوم ؟ ! أليس فيكم رجل يقبل التحدى ؟ ! إنى ذلك الرجل ، ولسوف أنازل " هكطور " ، ولتقض الآلهة بيننا ما هى قاضية . . . »

فأبى « أجا ممنون » أن يعرض « منيلاوس » نفسه للهلاك فقال له :

ــ « أجننت يا "منيلاوس" ؟ اكبح جماح ألمك ، وعد عما تريد ، فإن " أخيل " نفسه ليحجم عن منازلة " هكطور " ، ومن مثل " أخيل " ؟ »

فقام عندئذ تسعة من الإغريق ، وكلهم مستعد أن يخوض المعركة

الكبرى فى وجه « هكطور » ، فاتفقوا على أن يُقْتَرَع بينهم ليعرفوا مَنْ يكون منهم بطل الإغريق الذى سيتصدَّى لبطل « طروادة » .

وعيَّنت القُرْعَة البطل « أياس » ، فملأ الفرحُ قلبَه ، ولاحت على وجهه العَبُوس ابتسامة مخيفة وهو يُعِدّ سلاحه ، ويُحْكِم دِرْعَه وتُرْسه ، فرَفَعَ رمحه الطويلة ، وقَدَحَت عيناه بالشرر .

واضطَّرب الطرواديّون عند مرْآه على تلك الصورة من العزم والإقدام ، وشعر « هكطور » نفسه بقلبه يضطرب فى صدره .

ومشى « أياس » إليه وهو يُرْغِي ويُزْبِد ، ويتوعَّد ويقول له :

— « لئن بقى " أخيل " قُرْبَ السُّفُن منصرفًا عن الحرب ، لتعلمنَّ يا " هكطور " أن فى الإغريق أبطالاً سواه ، كفيلين بأن يُمَرِّغوا وجهك بالتراب . فخذ حِذْرك الآن وابْدأ القتال». فقال « هكطور » :

— « أتحسَبُنى يا " أياس " امرأةً ضعيفة أو طفلاً غريراً يجهل فنون الحرب ؟ إنى لأعلم منها كل القواعد والأسرار ، ولكننى لن أضربك غِيلَةً وغَدْراً ، بل سوف أضربك عَلَنًا فى نِزال شريف إذا مكَّنَتْنِي منك الآلهة » .

وما كاد يُتِمّ كلمته ، حتى سَدَّد حربته الطويلة إلى « أياس » ، ورماه بها سريعةً صافرة ، فتلقَّاها « أياس » بتُرْسه المصنوع من سَبْع طبقات من الجلد المُغَطَّى بالفولاذ ، فاخترقت الحربة ستًّا منها ، وطاشت عند السابعة .

وردّ « أياس » على خصْمه ، ورماه بحربة اخترقت تُرْس ابن « فريام » ودِرْعه ، ومزّقت جانبًا من ثوبه عند الخصْر ، ولولا حركة سريعة خفيفة أبداها « هكطور » ، لما نجا من تلك الطّعْنة القاتلة .

وعمَدَ كلٌّ من الخصْميْن العنيدين، إلى حراب أخرى يجول بها ويصول ، ويسدّدها ويُطْلِقها ، مُقْدِمًا حينًا مُحْجِمًا حينًا آخر ، كأنهما أسدان غضوبان ، يريد كلٌّ أن يَفْتُك بصاحبه .

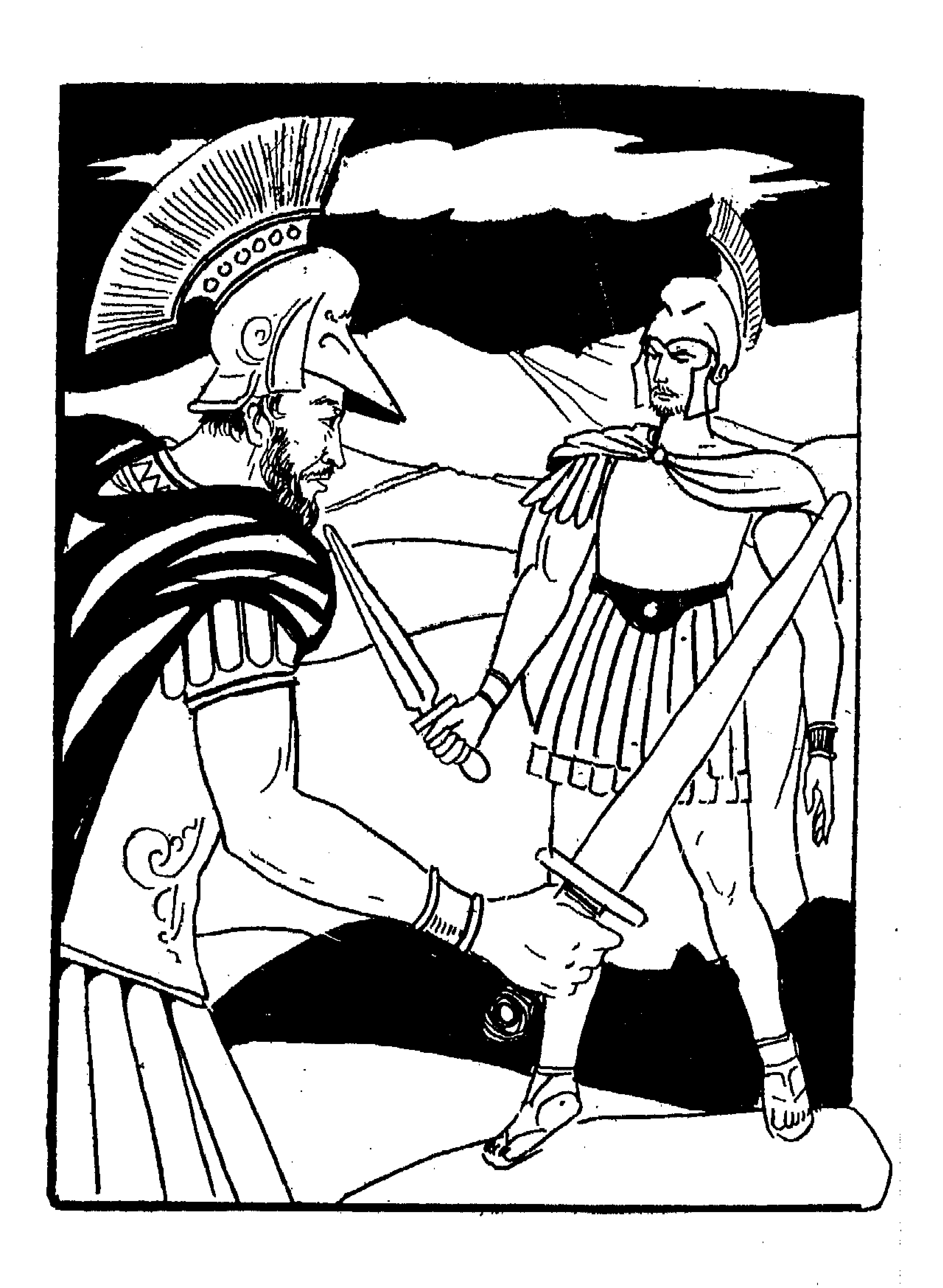
وأصاب « هكطور » مرّة أخرى تُرْس « أياس » .

ولكن التُرْس قاوم طعنة الحربة فخاب أثرها ، وأجاب « أياس » عنها بسهم اخترق تُرْس « هكطور » ومَسّ عُنُقه مسًّا رفيقًا ، وأسال منه بعض الدم ، فلم يتقهقر « هكطور » مع ذلك والتقط من الأرض حجرًا ضخْمًا ، وضرب به « أياس » ، فتلقاه بتُرْسه ، وأحْدثَ اصطدامه بالفولاذ دَويًّا عظيمًا .

والتقط « أياس » حجرًا أضْخم ، وقذف به تُرْس« هكطور»، ففقَد هذا توازنه ، وركع على رُكْبتَيْه ، وكان فى مقدور « أياس » أن يُجْهِز عليه لولا أن أقاله « أپولون » من عَثْرته، وكان يشهد المعركة متخفيًا عن أعين المتقاتلين .

وجرّد كلٌّ من البطَليْن سيفه ، وهجم به على غريمه فاعترض سبيلهما شَبحان ممْسكان بعصًا طويلة فرّقا بها بين المتبارزين وقالا :

— « كُفَّا عن القتال ، فقد برْهن كلاكما على أنه بطلٌ صِنْديد



ومحارب عنيد ، له فى قلب " زفس " منزلة أثيرة . . . لقد بدأ الليل يهبط ويلف الأفق بوشاحه الحالك ، فيحسن أن تتوقفا عن القتال ! » فقال « أياس » :

— « إن " هكطور " هو المتحدى ، فليقل كلمته يجدنى طوع قراره ! » فقال « هكطور » :

— « إن الآلهة يا " أياس " قد منحتك القوة والذكاء ، ورفعتك فوق مراتب الإغريق بطولةً وبراعة ، وها هوذا الليل يخيم علينا ، فلنتقف القتال ونستأنفه غداً ، ولتكن الآلهة هى الحكم بيننا . والآن لنتبادل الهدايا حتى يقول الإغريق والطرواديون : لقد تنازل " أياس " و " هكطور " ودار بينهما قتالٌ عنيفٌ ، ولكنهما عندما افترقا عادا صديقين » .

وقدم « هكطور » إلى « أياس » سيفه المحلى بمسامير من الفضة مع الغمد والحمائل ، وأهدى له « أياس » حزاماً ثميناً من الأرجوان .

وافترق البطلان ، وهلل كل جيشٍ لرجوع بطله المغوار .





٨

احتفل الإغريق برجوع « أياس » ، فأقاموا الولائم ، وقدَّمُوا للآلهة القرابين ، ثم عَقَدُوا اجتماعًا شَهِدَه الرؤساء والزعماء ، ونهض فيه « نسطور » أكبر القادة سِنًّا وأحْصَفهم رأيًا فقال :

ــ « علينا أيها الأصدقاء أن نجمع غداً عند الفجر جُثَث موتانا الأعزّاء ، وأن نحرُقَها فوق مَحْرَقَة واحدة » .

وبينما كان الإغريق يتداولون ويتشاورون فى هدوء واطمئنان ، كان الطّرواديّون متجمعين عند أسوارهم ، لا يستقرّون على حال من القَلَق والاضطراب ، فقال أحدهم :

— « ماذا نترقب من معاهدة تقوم على الزور والبُهْتان ؟ ! فالأَوْلَى بنا أن نردّ " هيلانة " الجميلة إلى الإغريق ، ونبعث معها بجميع كنوزها وأموالها » . فأجابه « فاريس » غضبانَ حانِقًا :

— « أمَّا كنوز "هيلانة" فأوافق على رَدِّها ، بل على أن أضيف إليها بعض كنوزى ، وأمَّا "هيلانة" نفسها فأمتَنع فى التخلى عنها . إنها زوجتى المحبوبة وستبقى فى ديارنا » .

وعند طلوع الفجر ، وَفَدَتْ على « أجا ممنون » الرئيس الأعلى لجيش الإغريق ، جماعة من الطّرواديّين يحملون إليه رأى قادتهم . فلمَّا مَثَلُوا بين يديه قالوا له :

— « عَهِد إلينا "فريام" وأمراء " طروادة " أن ننقل إليك قرار " فاريس " : إنه يقبل راضيًا مختاراً أن يُعيد جميع الكنوز التى جلبتها معها " هيلانة " إلى " طروادة " ، بل أن يضيف إليها بعض كنوزه ، ولكنه يأبَى كلَّ الإباء أن يَتنَزِل عن زوجة " منيلاوس" أجمل جميلات العالم . ولقد جئنا نطلب إليكم كذلك الموافقة على هدنة بيننا ، نستطيع معها أن ندفن موتانا ونحيطَهم بأسباب التكريم ، ثم نستأنف القتال إلى أن تفصل الآلهة بيننا وتمنح النصر من تشاء » .

فصاح « ديوميدس » فى قومه :

— « حَذارِ يا بنى وطنى ! فلا كنوز " هيلانة " مشفوعةً بكنوز "فاريس"، ولا رجوع "هيلانة" نفسها تُغْرِينا بوقف القتال ... إن أيام

" طروادة " أصبحت معدودة ، وإنه لأمر واضح لكل ذى عينين ! »

فقابل الإغريق كلامه بالهُتاف والتهليل ، والتفت « أجا ممنون » إلى وفد « طروادة » وقال لهم :

ــ « لقد سمعتم جواب الإغريق . . . على أننا نوافق على منحكم هُدْنَةً تدفنون فيها موتاكم » .

وطلعت الشمس فى صباح اليوم التالى تغمر بأشعتها التّلال والسّهول ، فالتقى الإغريق والطرواديّون فى مَيْدان الوَغَى ، ومضى كل فريق بعين دامعة وقلبٍ يتعَصّف به الألم ، يبحث عن موتاه ، ويجمعهم فوق محْرَقة ضخمة طعامًا للنار .

وانتهى الإغريق من مهمّتهم ، فعَمَدُوا إلى حَفْر خندق عظيم ، وبناء سُورٍ ضَخْم يحتمون وراءه ، ففرغوا من عملهم عند هبوط الليل ، وراحوا يتناولون طعام العَشاء ويغنّون ويرقصون .

وقضى الطرواديّون أيضًا ليلتهم فى أُنْس وحُبُور ، فضاق « زَفْس » ذَرْعًا وهو فى أعالى « الأولمب » بهؤلاء وأولئك ، وعاب عليهم فى نفسه أن يستسلموا إلى الأفراح غير مبالين ولا مكترثين .

ولم يكد الفجر ينبثق فى اليوم التالى ، ويُشْرِق ببسمته الوردية ، حتى دعا ملك « الأولمب » مجلس الآلهة ، ونهاها بصوت رهيب ، والغضب يُشعّ فى عينيه ، أن تكُفّ عن إقحام نفسها فى القتال الدائر بين الإغريق والطّرواديّين . فقالت له « مينرفا » :

— « يا أبانا العظيم ! ثِقْ أننا سننزل عند أوامرك ونواهيك ، ولسوف نوحى إلى الإغريق لو شئت ، بأن يَجْنَحُوا إلى السَّلْم حتى لا يقودهم غضبك إلى الهَلاك » . فقال « زَفْس » :

— « حَسَنًا يا " مينرفا " ! »

وابتسم ابتسامةً خفيفة ، فقد كانت « مينرفا » حبيبةً إلى قلبه عزيزةً عليه . ثم ارتدى دِرْعه الذهبية ، وركب مركبتَه ، وأمسك بسَوْطه المُزْدان مقبضُهُ بقِطَع الذهب ، وحَثَّ جياده البرّاقة الأعراف ، فطارت به تجتاز الفضاء فى طريق وَسَط بين الأرض والسماء .

وَصَل إلى جَبَل « إيدا » فحطَّ على قِمّته ، وفَكَّ أرسانَ الخيل ، واشتمل بغمامة سوداء ، وأخذ يُجِيل الطَّرْف فى الإغريق والطَّرواديّين ، وقد التحموا فى عِراكٍ عنيف فى السَّهْل البعيد .

وكان الجيشان قد هبّا فى الصباح الباكر إلى اللقاء والقتال ، واشتبكا فى معاركَ دامية تَدَفَّقَ فيها الدَّمُ ، فصَبَغَ الأرض ، وتعالَتْ فيها الصَّرَخات إلى عَنان السماء ، بين صَيْحة نَصْرٍ يجأر بها الغالب ، وصَيْحَةِ غَيْظٍ وحَنَق تخرج من فم المغلوب .

وعند الظهر ، نزل ربّ الأرباب من عرش الغَمام ، وأمسك بميزانه الذّهبيّ ، وَوضَع فى كل كِفَّة سهمًا ، هذا للإغريق ، وذاك للطرواديين ، فشالت كِفّة هؤلاء ، وعلى الأثر التمع فى الجوّ بَرْقٌ اخترق أحشاءَ الغَمام ، فرأى الجيشان فى ضوئه ربّ الأرباب حاملاً

ميزانَه ، فهلعت قلوبُ الإغريق .

جَدَّ الإغريق فى الفرار حتى الشجعان منهم إلا « نسطور » الشيخ ، ولكن ما هى إلا لحظات حتى أصيب جوادُه بسهم أطلقه « فاريس » فشَبَّ على قائمتيه ، وتململ فى أربطته ، وأثار الذعر فى بقية الجياد التى تجرّ المركبة .

فقفز « نسطور » على الفور إلى الأرض ، وقطع بسيفه أربطة الجواد ، ولمح عن بعد « هكطور » مقبلاً إليه إقبال الصاعقة ، بمركبة تطير جيادُها طيران النسور ، ولولا أنْ خفَّ « ديوميدس » إلى « نسطور » لما نجا هذا من موت محقق .

وقف « ديوميدس » وحده إلى جانب « نسطور » وقال له :

— « إنك ياعزيزى " نسطور " تقاتل شبانًا أقوياء، وإنى لأراك بادى الضَّعْف وأرى جيادك متقطعة الأنفاس، فاركبْ مركبتى تعلمْ قيمة جيادى، والآن لننقضْ على "هكطور " حتى ألقنه درسًا فى الرماية » .

انصاع « نسطور » لإلحاح رفيقه ، فركب مركبة « ديوميدس » ، وأمسك بزمام الخيل ، وأعمل السَّوْط فى ظهورها ، وجرى البطلان إلى لقاء « هكطور » .

وعاجل « ديوميدس » « هكطور » بسهم نفّاذ ، فمرّ فوق رأسه ، ولكنه أصاب سائقه إصابةً مميتة فسقط من المركبة ، ولعل هزيمة الطرواديّين كانت محقّقة بعد ذلك لولا سهرُ « زَفْس » ربّ الأرباب

وشديد رقابته ، فرمى الأرض بصاعقة من صواعقه ، فانفجرت قرب مركبة « ديوميدس » عند حوافر الجياد ، فشبّ اللّهب ، وارتاعت الجياد واضطربت ، وأفلتت الأرسان من يدَيْ « نسطور » .

فقال يخاطب « ديوميدس » :

— « الآلهة يا " ديوميدس" تحارب فى صفوف أعدائنا وتشدّ أزْرَهم ، وليس فى الأرض رجلٌ مهما بلغت قوّته ، يستطيع أن يناهض إرادة " زَفْس " ربّ الأرباب » . فقال « ديوميدس » :

— « إنك لعلى حقّ أيها الشيخ ! غير أن فؤادى ليعصره الألم إذا فكّرت فى أن النصر سيكون حليف "هكطور" ، فقد يقول يوماً مستعلياً مزهُوًّا : [إن " ديوميدس " فرّ من أمامى إلى سفنه] . فلو حدَثَ هذا لوددت أن تنشقّ الأرض وتبتلعنى » . فقال « نسطور » :

— « كلاّ يا " ديوميدس " ! لن يصفك " هكطور " بالخوَر ولا بالجُبْن ، فلو فعل لما صدّقه طروادىّ واحد ، ولاسيما أولئك النِّسْوَة الأرامل اللواتى خرّ أزواجهن صَرْعى عند قدميك » .

وأدار « نسطور » رؤوس الخيل ، وهرب البطلان تحت وابل من السِّهام أمطرهما بها الطّرواديّون ، فى حين كان صوت « هكطور » يلعلع كالرعد ويقول :

— « انظروا إلى بطل الإغريق كيف يفِرّ فِرار الجبان ؟ اهرب يا هذا فما أنت ببطل ، وإنما أنت فتاة خَرِعَة متخاذلة ! . . »

سمع « ديوميدس » هذا السباب ، فتملكه الغضب ، وودّ لو رجع بمركبته ونازل هذا الجسور ، وهمّ غير مرّة بأن يفعل فكان « زفْس » فى كل مرة يصْرِفه عن عزمه ، ويُطْلِق صاعقةً من صواعقه يتفاءل بها الطّرواديّون ، ويروْن فيها رمز النصر ، ويتطيّر منها الإغريق ويعدّونها رمز الهزيمة .

واهتزّ « هكطور » طربًا من ذلك الفأل الحسن ، فهبّ يُذْكِى نيران الحماسة فى قلوب رجاله ، ويوغِر صدورهم على العدو ، ويُمنّيهم بالنصر القريب ما دام « زَفْس » جمّاع السُّحُب ومبدّدها ، يتبنّى قضيتهم ، ويحارب فى صفوفهم . ومضى « هكطور » يثير الحميّة حتى فى صدور جياده ، ويخاطبها بأسمائها ويقول :

— « هيّا يا "كسنْث" ويا "بُود رْج" وأنت يا "لمبُوس" هيّا أيتها الجياد الكريمة القوية أسرعى وشُدّى على العدو ، وأظهرى أثر عنايتى وعناية "أندروماك" بك . . . طيرى ومكنينى من أن أستولى على تُرْس "نسطور" المطعّم بالذهب ، وأن أنتزع من "ديوميدس" دِرْعه العظيمة » .

ثم طار بمركبته ، تتبعه صفوف الطّرواديّين فضيّقُوا الخناق على الإغريق حتى حصروهم فى خنْدق ضيّق بين السُّور والسُّفُن .

ولعل ألسنة النيران كانت إذ ذاك ستلتهم سفن الإغريق ، ولعل الحرب كانت ستنتهى على هذا النحو من هزيمة الإغريق ، لولا مسعى

الربّة « هيرا » وإيعازها إلى« أجا ممنون » بان يقوّى عزائم جنده ، ويحيي فيهم ميّت الآمال .

فاطاع « أجا ممنون » وحْى « هيرا » وتوسّط الجند وهو يقول :

— « يا للخجل ! أين إذن وعودكم ومواثيقكم ؟ ! أين الأيْمان المُغلَّظة التى أقسمتم بها ألاّ تعودوا إلى دياركم إلا منتصرين ؟ ! »

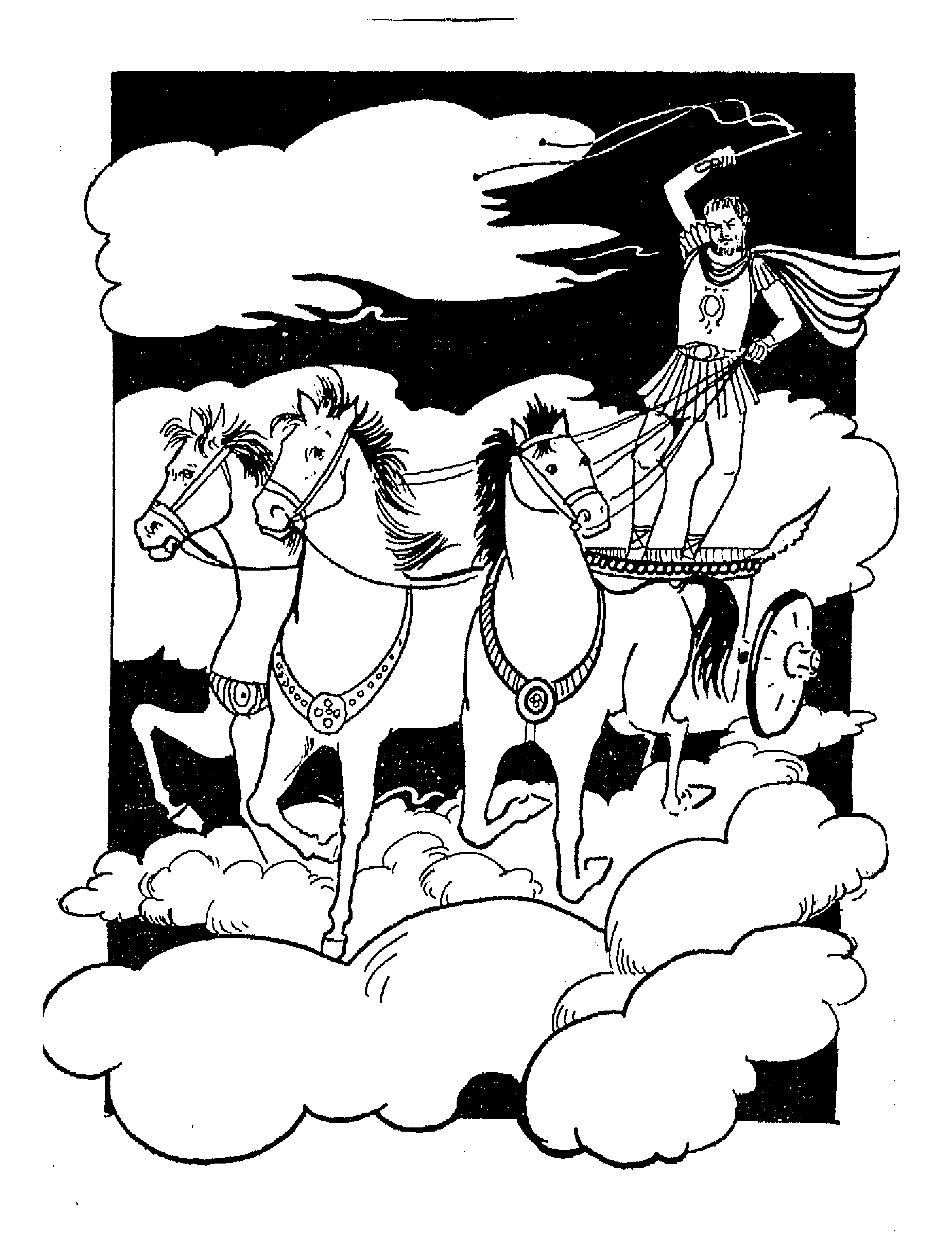
ثم أخذ يصلى ويناجى « زفْس » ربّ الأرباب ويتوسّل إليه أن يمنح الإغريق نعمة النصر .

فاستجاب ربّ الأرباب لدعائه بانحناءة خفيفة من رأسه ، وأطلق على الفور فى كبد الفضاء صقراً يحمل بين براثنه غزالاً صغيراً رماه عند سفْحِ المذْبح .

فاستعاد الإغريق شجاعتهم ، وانتعشت أرواحهم عند هذا الفأل الحسن ، ووثبوا وثبة النَّمِر إلى القتال ، وعادت الحرب سيرتها الأولى من الدَّوران ، وقفز كل جندى وبطل من الجيشين إلى خصمه ، يصاوله ويناجزه ، ويجدّ فى أن ينتزع روحه من بين جنبيه .

وعادت السّهام والحراب والحجارة تملأ جو المعركة ، ويتراشق بها الرُّماة ، فتصيب من تصيب ، وتخطىء من تخطىء ، هذا وجوانب الميْدان يتعالى فيها عزيفٌ يُصِمّ الآذان ، اشتركت فيه صرخات المقاتلين ، ودوِىّ المركبات ، وقَعْقَعَة السّلاح ، وصهيل الخيل .

وكان « توْسر » أخو « أياس » من المبرّزين فى هذه المعركة ،



فما رمى سهمًا وطاش ، ولم ينج من أسنّة سهامه غير « هكطور » ، فكم من مرة شدّ فيها عليه ، وصوّب إليه السهم تلو السهم بُغْيَةَ أن يُرْدِيَه قتيلاً ، وينفض يده من بطل الطّرواديّين ، ولكنه أخفق فيما بَغَى ، وبقيتْ أمنيته عزيزةً لا تُنال .

وسدّد إليه بعد جهد ولأْى سهمًا قاتلا أصاب سائق المركبةً فوقع ميتًا . وعزّ على « هكطور » أن يفْقِد رفيقه الوفىّ ، وحزّ الألم فى صدره ، فقفز من المركبة وصاح صيحةً مخيفة ، وتناول حجراً ضخمًا مشى به إلى « توسر » يريد أن يضربه به عن كثب ويقضى عليه .

وكان « توسر » حينئذ قد رفع قوسه ، وشدَّ منه الحبل إلى كتفه ، وهمّ بإطلاق السهم ، ولكن حجر « هكطور » كان قد أصابه فى تلك اللحظة فانقطع الحبل وتراخت قبضته ووقع القوس من يده وخرّ جاثيًا على ركْبتيه .

خفَّ أخوه « أياس » إليه كالبرق الخاطف ، وحماه بتُرْسه ، إلى أن حمله اثنان من رفاقه ومضيا به إلى الشاطئ وهو يئنّ من الألم .

وشاء « زفْس » أن يحقّر « أجا ممنون » انتقامًا « لأخيل » ونزولاً عند الوعد الذى كان قد قطعه على نفسه لأمّه « تيتيس » فعمد مرّة أخرى يُوغِر صدور الطّرواديّين على الإغريق ويحثّهم على التنكيل بهم ودحْرِهم فى هزيمة مُنْكَرة .

أما « هيرا » و « مينرڤا » فقد بلغ الحزن منهما كلَّ مبْلغ على

مصير الإغريق ، فأخذتا وهما فى « الأولمب » تتشاوران وتقدحان زِناد الفكر للعثور على وسيلة تُعينان بها الإغريق ، على غير علم من « زَفْس » ، بعد أن توعّد بشديد العِقاب كل إله يحشُر نفسه ثانيةً فى تلك الحرب ، وينصُر فيها فريقًا على فريق .

ولقد ذكرتا نبوءه « زَفْس » حين قال للآلهة :

— « غداً تبلُغ الأهوال ذرْوتها ، ويُذيق "هكطور" الإغريق مرّ العذاب ، حتى ينْشط "أخيل" العظيم للحرب ، وينزل ساحاتِها هائجًا مُحْنقًا يريد أن يثار لموت صديقه العزيز "فطْرُقْل" . . . تلك هى مشيئة الأقدار ! . . . »

هَبَط الليل بظلامه الدّامِس ، فاستاء الطرواديّون وهلّل له الإغريق ، على رجاء أن ينالوا فيه قِسْطًا من الراحة .

واستند « هكطور » إلى رُمْحه ، وقال يخاطب جيش الطّرواديّين :

— « أنْصِتُوا إلىّ يا بنى قومى ، واسمعوا ما أقول :

كنت أودّ لو قضيتُ اليوم على جيش الإغريق ، وعدت بكم منتصرين ظافرين إلى مدينتنا "طروادة" ذات الأسوار المنيعة ، غير أن الليل انتشر سريعًا فحال دون هذه الأمْنِية. وكيفما كان الأمر فلننتهزها فرصةً ننظّم فيها شؤوننا ، ونصيب شيئًا من الراحة نحن وخيولنا . إننى أوصيكم بأن تبقى نيراننا مُوقَدة حتى لا يعْمِد الإغريق إلى الهرب وركوب البحر فى جُنْح الليل .

أيها الدّعاة ! انقلوا أوامرى إلى " طروادة" وهى هذه : ليحْرس الشباب والشيوخ الأسوار ، ولتُوقِد النساء المصابيح فى المنازل ، حتى لا يغافلنا الإغريق ويدخلوا المدينة سرًّا . فإذا انْبلج الصبح استأنفنا القتال ، وعلِمْنا أ " ديوميدس" هو الذى سيدْحرُنا إلى "طروادة" أم أنا الذى سأخترق صدره بطعنة من رمحى ، وأرميه قتيلاً عند موْطِئ قدمىَّ » .

فهتف الطّرواديّون له هُتافًا شقّ حجاب السماء ، وقاموا إلى الخيل يفكّون أرْبِطتها ، ويقدّمُون لها العلف ، ثم توغّلوا فى مختلف النواحى يجمعون الحطب ، ويُشعِلون النار ، ويجلسون حولها فى أكمل عُدّة من السلاح ، مستعدّين للوثوب عند أول إشارة .





٩

بينما كان الطّرواديّون مُتَحلِّقين حول النار ، يقضُون الليل فى سَهَر ويَقَظة ، كان الإغريق متجمّعين تحت خيامهم فريسةً للهمّ والقلق والخوف ، ولم تكن حال « أجاممنون » بأحْسن من حال جُنده ، فقد كان اليأس ينخر قلبه .

وعلى حين فجاة ، أنهى إلى دُعاته أن يمضوا فى صمت وسكون ، وفى غير ضوضاء ولا جَلَبة إلى القادة والزعماء ، ويطلبوا إليهم عَقْد مجلس الحرب .

وانعقد المجلس وكان الألم يقيم الأعضاء ويقعدهم ، فوقف فيهم

« أجا ممنون » والدموع تنهمر من مآقيه انهمار الغيث المدرار وقال:

— « يا أصحابى ! يا ملوك الإغريق وزعماءهم ! يعز على أن أقول لكم إن "زفس" قد خدعنا وعاملنا بلا رحمة ولا شفقة . . . كان بانحناءة من رأسه قد وعدنا بالنصر ، فنكث وعده وجللنا بالخزى والعار ، فلم يبق لنا إلا أن نولى الأدبار مستقلين مراكبنا ، هاربين بها إلى بلادنا ، فالاستيلاء على "طروادة" ضرب من المحال ، وأمر دونه خرط القتاد » .

فصمت السامعون قليلاً ، رازحين تحت وطأة الحزن ، ثم نهض « ديوميدس » وأجال الطرف فى الحاضرين وقال :

— « رميتنى يا "أجا ممنون" منذ قليل بالجبن والخور ، ويعلم الإغريق جميعهم ، من شبانهم إلى شيبهم ، أنى لست بالجبان الواهن العزم ... لقد منحك " زفس" الحكم والسلطان ، وأبى أن يهبك الشجاعة وهى فوق الحكم والسلطان . . . أتحسب الإغريق ضعفاء جبناء مثلك ؟ ! تريد الهرب ، فاهرب ، فمراكبك تنتظرك عند شاطئ البحر ، أما نحن فباقون حتى نفتح مدينة "فريام" . . . ومن شاء من الإغريق أن يتبعك فليفعل . . . على أننى أنا ورفيقى " ستينلاوس " مقيمان هنا إلى أن تسقط " طروادة" فى أيدينا ، فقد جئنا إلى هذه البقاع بمعونة إله واحد وسيمنحنا هذا الإله النصر » .

وقام « نسطور » الشيخ على الأثر وقال :

— « ما أمهرك مقاتلاً يا " ديوميدس " وما أبرعك خطيباً ! فأنت في الحلبتين صاحب القدح المعلّى ، ولكنك فتًى يافع في عنفوان الشباب ، فأصغ إلى من هو في عمر أبيك بل جدك ، ولا إخالك كما لا إخال " أجا ممنون" هازئاً بكلامي ، فليس يهوى الشجار والنزاع إلا الرجل الشريد الخارج على القانون والوطن . فلنقم الآن بما يمليه علينا الليل : نتناول طعام العشاء ونوصي الحرّاس باليقظة والسّهر ، وغداً نواجه مصيرنا فإما نصر وإما هلاك ! »

وقاد « أجا ممنون » عندئذ القادة والزعماء إلى خيمته ، وقدّم لهم طعاماً شهيًّا ، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً حتى امتلأوا ، وفي نهاية المأدبة عاود « نسطور » الكلام وقال :

— « إن " زفس " ربّ الأرباب قد سوّدك علينا يا " أجا ممنون" ووضعك منا في مكان الصدارة ، فعليك إذن أن تسمع آراءنا وتختار منها الحسن السّديد . . . لقد كنت أنا في طليعة من ندّد بك وانتقد مسلكك ، يوم شئت أن تسلب "أخيل" فتاته الجميلة "بريزئيس" موجّهاً بذلك إلى أبرع مقاتلينا إهانة قاتلة . . . فعلينا الآن أن نسعى إليه بثمين الهدايا والألطاف ، وبالكلام الرقيق الحواشي ، حتى نثنيه عن عزلته ونغريه بحمل السلاح محارباً في سبيل الإغريق .

فقال « أجاممنون » :

— « نعم يا " نسطور " لقد أعماني الغضب فتصرّفت تصرف

الحَمْقَى وليس يَضيرنى وهو البطل العزيز على "زَفْس" أن أسترضيه وأساله ، ولسوف أبعث إليه بهدايا لا تُحْصَى : فمن آنية من الذهب ، إلى جياد مطهَّمة لا يُشقّ لها غُبار فى حَلَبات السّباق ، إلى سبْع أسيرات جميلات يمتزن بالحِذْق والمهارة فى أعمال النساء . . . وعلى رأسهن " بريزئيس" الجميلة . . . فلئن رضى أن ينضمّ إلينا ثانيةً محارباً منازلاً ، وسقطت " طروادة " بين أيدينا ، لأخصنّه بأوْفَى نصيب من الأسلاب ، وأزوّجنّه إحدى بناتى ، وأنصبنّه ملكاً على عديد من المدن والأرضين الواسعة » .

وعلى الفور تداول السامعون فيمن يكون الرسول إلى « أخيل » ، فأجمعوا على اختيار وفد من السفراء يتألف من « فينكس » المحارب الحبيب إلى قلب « زفْس » ومن « أياس » العظيم ومن « أوذيس» الخطيب المفوّه الحصيف .

وسَبَق الوفد إلى « أخيل » داعيتان يخبرانه بمجىء السفراء إليه ، ويُطْلعانه على الغرض من تلك السفارة .

سار الوفد فى محاذاة البحر الزاخر الهدّار ، ونفوس أعضائه ضارعة إلى « زَفْس » أن يُنْجحهم فى مَقْصِدهم ، وأن يرقّ لهم قلب « أخيل » ، فوصلوا إلى المكان المضروبة فيه خيامُه ، بإزاء الميناء المتجمعة فيه سفنه ، فوجدوه جالساً وفى يده قيثارة دقيقة الصُّنْع ، مرصّعة بالفِضّة ، يعزِف عليها أنغاماً شجيّة ويُنْشد الأناشيد التى تمجّد أعمال



الأبطال فى قديم الزمان .

وكان « فطْرُقْل » جالسًا على مقْرُبة منه ، يصغى بكل جوارحه إلى غناء صديقه العزيز .

وصل « أوذيس » أوّل منْ وصل إلى « أخيل » ، فنهض هذا واقفًا دون أن يترك قيثارته ، ونهض معه « فطْرُقْل » ، ثم وصل السّفيران الآخران ، فرحّب « أخيل » بالوافدين عليه ومضى بهم إلى خيمته وقال :

— « أهلاً وسهلاً بكم تحت سماء خيمتى ، ومرحبًا بكم يا أعز الإغريق علىّ ، ومهما انطوى عليه صدرى من حَنَق وغَضَب ، فلا يَرْقَى إلى منزلتكم الأثيرة فى نفسى » .

ثم دعاهم إلى الجلوس ، وقدّم لهم مقاعد مجلّلة بنسيج الأرْجوان وقال يخاطب « فطْرُقْل » :

— « هات يا "فطْرُقْل" أغلى الآنية عندى ، وصُبّ منها للضيوف الكرام سائغ الشراب ، فإنهم أحبّ الأصدقاء إلى قلبى » .

وبالغ « أخيل » فى إكرام سفراء « أجاممنون » إليه ، وأولم لهم وليمة فخمة حَفَلت بأطايب الطعام فأكلوا هانئين مسرورين .

ولما امتلأت بطونهم شبَعًا وريًّا حتى كادت تنبعج ، تغامز السفراء فيما بينهم ، فوقف « أوذيس » وقصّ على « أخيل » الكوارث التى مُنِى بها الإغريق ، وذكر له أيّة هدايا سنيّة يتْحِفه بها « أجاممنون »

ويطلب إليه ، باسمه واسم القادة والزعماء والجنود أجمعين ، أن يرجع إليهم ، ويحارب فى صفوفهم حتى النصر .

فقال « أخيل » :

— « اعلم يا " أوذيس " أنى أكره كرهى لأبواب الجحيم مَنْ يُضْمر غير ما يُظْهر ، ومَنْ تُخْفِى كلماته مكنون صدره ، فأعِرْنى أذُنيك أنبئك بما أحسبه واقع الحق والحقيقة : لقد حاربت فى صفوف " أجا ممنون " ، وعرّضت نفسى للهلاك ، وقاسيت أهوال المعارك فما ضعفتُ ولا تقاعستُ ، فأىّ جزاء نالنى من هذا كله ؟ إنه يرسل إلىّ اليوم التحف والهدايا . وإنى لأمْقُت تُحفه وهداياه . . . ففى استطاعتى أن أظفر بأكاليل المجد وثمين الغنائم ، دون أن يمنّ علىّ بذلك ، وإن كنت أعلم علم اليقين ، وتلك نبوءة أمى " تيتيس " أن الموت سيُنْشب فىّ أظافره وأنا فى رونق العمر وعُنْفوان الشباب . فليلتمس الإغريق إذن العوْن من غيرى . فشعورى هو هو لم يتغير ، وما أنا مَنْ يعود إلى حمْل السلاح فى وجه " طروادة " » .

فقال عندئذ « أياس » :

— « لم يعُدْ لنا يا " أوذيس " النبيل إلا الانصراف ، فسفارتنا قد أخفقت ، فهيا نُطْلع إخواننا على هذا الإخفاق وإن آلمنا ! »

ثم التفت إلى « أخيل » وقال :

— « إنك قاسى القلب غليظ الكبد يا " أخيل " فما فى جوانحك

رأفة ولا شفقة. لقد أغلق الغضب والحقد قلبك دون أهلك وقومك ووطنك! »

فقال « أخيل » :

— « نعم ذلكم جوابى يا " أياس " العظيم! اذهب وقل " لأجاممنون " إنى لن أمتشق حساماً ولن أسدد رمحاً فى وجه الطرواديين ما لم ينقضوا على مراكبى وخيامى ويحرقوها ، ولكن ثق أنى فى ذلك اليوم أعرف كيف أنكل بالطرواديين ، وأحيل هجومهم إلى هزيمة شنعاء » .

وعاد السفراء الثلاثة والألم يعصف بهم ، ينقلون رسالة « أخيل » إلى « أجا ممنون » وجيش الإغريق .

فتلقى المحاربون تلك الرسالة واجمين ثم صاح « ديوميدس » قائلاً :

— « إذن ليختر " أخيل " الساعة التى يؤثرها ، وليخض ثانية غمار الحرب بوحى من فؤاده ، والآن علينا أن نسترد قوانا ، ونستريح من وعثاء الجهاد ، حتى إذا طلع الفجر غداً بلونه الوردى ، كنا على حال نستطيع معها القتال فدى الوطن وفدى الرئيس » .





١٠

أخلد قادةُ الإغريق إلى الراحة ، وداعب الكرى جفونهم فاستسلموا له هادئين ، إلا « أجا ممنون » فقد بقي ساهراً لا ينام .

ولشدَّ ما كان يهيج ويثور ، عندما تطرق مسمعه أنغامُ المزامير والقهقهات العالية ، تنطلق من صفوف الطرواديّين فتصل إليه عبر الفضاء .

كان الفرح ضارباً أطنابه عندهم، وأسباب البهجة والأنس تفعم صدورهم، وحلقات الرقص والغناء موفورة موصولة ، ونيران الجيش تنير سواد الليل ، وجملةُ القول أن كل حركة من حركاتهم

كانت تدُلّ على الغبْطة والمَرح ، فى حين كان الظلام والسكون خيّميْن على صفوف الإغريق .

فتَّتْ تلك الحال فى عضُد « أجا ممنون » وثقُلتْ وطْأتُها عليه ، وزادته ألمًا فوق ألم ، فنهض فجأة وانْتعل مَداسَه ، وألقى على كتفَيْه معْطَفه الضّخم المصنوع من جلْد أسد ، وأمْسَكَ برُمْحه ومضى إلى « نسطور » الحكيم يستشيره ويلتمس عنده الرأى الصائب والنّصيحة المُثْلى .

وكان « منيلاوس » على مثل القلق الذى ينْهشُ قلب « أجا ممنون » ، فقضى ليلته ساهدًا مؤرَّقًا ، يفكّر فى الأخطار التى تعرَّض لها جميع الأبطال الذين اجتازوا البحر ، وجاءوا بسببه يقاتلون الطّرواديّين .

فكفّ عن التفكير فجأة ، ولبس خُوذته ، ورمى على كتفيْه معْطفًا مصنوعًا من جلْد فهْد ، وتناول رمحه ، ومضى يلْقَى أخاه ، فقابله عند الشاطئ فى عُدَّة كاملة من السلاح فقال له :

— « علامَ هذه العُدَّة من السلاح يا شقيقى العزيز ؟ ! أتنوى أن ترْسل أحداً يتلصَّص على الطّرواديّين ويعْرف ما يفعلون ؟ لا أظنّك تلقى حتى بين الشّجْعان منا من ينْشَط لمثل هذه المهمّة الخطِرة » .

فلم يُجبْ « أجاممنون » عن هذا السؤال وراح يُقْنع أخاه أن يذهبا معًا إلى رؤوس قادة الإغريق ، ويوقظاهم من النوم ، ويدعواهم

إلى عقد مجلس الحرب ، مبتدئين بالحكيم الشيخ « نسطور » .

فاجتاز الشقيقان المُعسكر ، ووجدا الحرّاس ساهرين متيقّظين مُرْهفِي الآذان لكل حركة ونأمة .

فاستقبلهما الشيخ « نسطور » مبتسمًا وقال لهما :

ــ « هكذا تكون الحراسة واليقظة يا ولديّ العزيزين ! يجب أن نفوّت على الأعداء كل غاية ، ونقضى على كل ما يتخذون من وسائل النصر » .

وعَبَر معهما الخَنْدق ، وتبعهم زعماء آخرون ، وجلسوا جميعًا تحت قُبّة السماء ، فى مكان بعيد من ساحة القتال .

حدّثهم « نسطور » فقال :

ــ « أيها الأصدقاء ! هل فيكم رجل شجاع القلب ، يجرؤ على أن ينْفُذ هذه الليلة إلى معسكر الطّرواديّين ، ويحاول أن يقف على ما يُعِدّون من خُطط الحرب ؟ فلو وُجِد هذا الرجل ، وأعادته إلينا الآلهة سالمًا غانمًا لعاش طائر الصّيت وخَلَدَ ذكره على مَدَى الأزمان ، ومنحناه جائزة سنيّة » .

فصاح « ديوميدس » صيحةً اهتزّت لها جوانب الفضاء وقال :

ــ « أنا ذلك الرجل ، ولأقومنّ بالمهمة عن رِضًى وطيب خاطر . على أنه إذا شاء أحد من الرّفاق أن ينضم إلىّ ازددتُ به وازداد بى ثقةً وجُرْأة ، وتعاونّا معًا على بلوغ القصد » .

فتقدَّم غيرُ واحد من السّامعين، وطلب أن يَصْحَبَ « ديوميدس » لمهم مُتَّقِد غَيْرَة وحماسة ، فقال « أجا ممنون » :

— « "ديوميدس" ! أيها الصديق الكريم العزيز اخْتَرْ أنت رفيقك» .

فقال « ديوميدس » :

— « لو أن لى حقًّا فَضْلَ الاختيار ، لاخترت " أوذيس " ، فإن المرء ليستطيع مع رفيق مثله ، أن يقتحم النار ويخرج منها سليمًا مُعافى » . فقال « أوذيس » :

— « لا تُبالِغْ فى إطرائى يا " ديوميدس " ! فهيّا بنا إذا شئت ، فالليل يسير إلى مَداه ، والنجوم تغيب نَجْمًا نَجْمًا والفجر غير بعيد » .

فتقلَّد كلٌّ منهما رهيب السلاح ، وسارا إلى غايتهما سَيْرَ أسَدَيْن يبحثان عن فريسة ، فما من رجل اعترض سبيلهما إلا طرحاه أرضًا عند أقدامهما ، غارقًا فى دمائه .

وتابعا السَّيْر فى جُنْح الدُّجَى ، فسمعا بعد حين نعيب غُراب يشُقُّ سكون الليل ، فاستأنسا به ، وعدّاه فألاً حسنًا يُشير إلى أن الآلهة تعدُهما بالنصر .

وحَدَث كذلك فى مُعَسْكر الطرواديين ، فقد عَقَد الزّعماء مجلس الحرب يلتمسون فيه المشورة وصواب الرأى . وعرض فيه البطل « هكطور » أن يمنح جائزة كبيرة ، لمن يذهب فى ظلام الليل يستطلع

طلْع الإغريق بالقرب من أسطولهم ، ويَعْرِف هل يُشدِّد رجال « أجاممنون » الحراسة ، ويستكشف خُطَطهم ونواياهم .

فنهض « دولون » ، وكان رجلاً زريَّ المظهر ، ضعيف البِنْية ، ولكنه عدّاء سريع ، وكان يُعَدّ من أغنى أغنياء « طروادة » لما يمتلكه من ذهب وفولاذ فقال :

ـ « أنا للمهمة التي تطلبها يا " هكطور " ، فسوف أتسلل إلى معسكر الإغريق ، وأرْصُد حركاتهم ، وأتنسَّم أنباءهم ، وآتيك بالخبر اليقين ، أما الجزاء فجياد " أخيل " ومركباته المزدانة بالفولاذ » .

فقال « هكطور » :

ـ « حُبًّا وكرامة يا "دولون" فما من أحدٍ سواك سوف يمتطى تلك الجياد ! »

فاعتمد « دولون » قوسه ، ورمى على كتفيه جِلْد ذئب ، ولبس خُوذته ، وتناول رمحه ، ومضى يسترِق الخُطا إلى الشاطئ .

وكان « أوذيس » يرْصُد هو أيضًا حركات العدو ، ويراقب متسترًا بِرداء الليل ، فسمع وقْع قدميه السريعتين ، فقال بهمْس فى أذن « ديوميدس » :

ـ « رجل يَجُوب هذه الأنحاء ، ولست أدرى أجاء يتجسس علينا أم جاء يسترِق ما فى جيوب الأموات ؟ والرأى أن نَدعه يسبقُنا وأن ننقضّ عليه بعد ذلك » .

فانتحى الرفيقان ناحيةً بعيدة من الطريق ، وذهبا يختبئان بين جثث الأموات هادئين ساكتين ، كأنهما هما أيضًا جثّتان هامدتان .

مرّ « دولون » غير بعيد منهما راكضًا إلى هدفه ، فجريا خلفه ، فأحسّ بأن هناك مَن يتبعه ، فوقف يسائل نفسه : هذا القادم إليّ أترى أرسله « هكطور » ليثنيني عمّا ذهبت من أجله ويطلب إليّ العودة إلى المعسكر ؟

ولكنه أدرك بعد قليل أن وراءه عدوًّا يطارده ، فأمعن فى الهرب ، وأطلق ساقيه للريح . فجدّ « أوذيس » و « ديوميدس » فى اللحاق به ، كأنهما كلبا صيد يجدّان فى إثر غزال نافر أو ثعلب هارب ، وما زال المطارِد والمطارَد فى سباق عنيف حتى ظهر للراكضين خندق الإغريق ومن حوله الحرّاس والعسس ، فصاح « ديوميدس » :

— « قف أيها الرجل وإلاّ رميتك بسهم يسمّرك إلى الأرض » .

وأتبع القول بالعمل ، وأطلق السهم متعمّداً ألاّ يصيبه ، فمرّ السهم فوق كتف الطروادىّ ، وحطّ مغروسًا فى الرمل أمامه ، فامتُقع وجه « دولون » واصطكت أسنانه رُعبًا ، فأدركه « ديوميدس » و « أوذيس » وهما يلهثان ، وقبضا عليه فقال « دولون » وهو يبكى :

— « سألتكما بكل عزيز عليكما أن تبقيا على حياتى . . . وعلى سبيل الفدية سأعطيكما مقداراً كبيراً من الذهب والحديد والفولاذ » .

فقال « أوذيس » الداهية :

— « هَوِّنْ عليك فسوف نُبْقِي على حياتك، ولكن قُلْ لنا ما الذى جاء بك فى حَلَكِ الظلام إلى معسكر أعدائك ؟ »

فأفشى « دولون » الحقير سِرَّه . وهو يرتجف من رأسه إلى أخْمَص قَدَمَيْه ، وأطْلَع « أوذيس » و « ديوميدس » على المهمة التى عَهِد « هكطور » فيها إليه ، ثم ألحّا عليه فى السؤال والاستطلاع فكشف لهما عن قوة الطّرواديّين ، وشرح لهما الطريقة المُثْلَى التى يستطيع الإغريق بها دخولَ معسكر أعدائهم فقال :

— « فى الجانب البعيد من "طروادة" يعسكر جنود "تراقيا" ، بقيادة ملكهم "ريزوس" ولهذا الملك أسْلحة من الذهب جديرة بأن تكون فى حَوْزَة إله لا فى حَوْزَة بشر ، ولديه مركبات مُحلاَّة بالذهب والفضة ، وجياد فارهة لم تقع عينى على أجملَ منها ، فهى كالريح عَدْواً وكالثلج بياضًا » .

أصغى إليه « ديوميدس » و « أوذيس » فى اهتمام وقلق ، فلما فرغ من حديثه ، ونفض جُعْبَتَه ، سألهما أن يستبقياه أسيراً بالقرب من أسطولهم إلى أن يستوثقا من صحيح كلامه أو أن يُخْليا سبيله فينطلق حرًّا إلى معسكره . فنظر إليه « ديوميدس » نظرةً مخيفة وقال :

— « لقد ذكرت لنا يا "دولون" أموراً خطيرة يهمنا الوقوف عليها ، ولكن لا تَرْجُ أن يكون إطلاق سَراحِك ثَمَنًا لخيانتك ، فلن نمكنك

من العودة إلينا متجسّساً متلصّصاً ، ولا من تجريد السلاح فى وجه الإغريق » .

واستَلّ بعد ذلك سيفه ، وضرب به عنق « دولون » قبل أن يستطيع هذا رَفْعَ يديه متوسلاً مسترحماً ، فتدحرج الرأس وتمرَّغ فى التراب عند قدمى « ديوميدس » .

وانْكَبَّ البَطَلان يجرّدانه من سلاحه ، فجمعا قوسه ورمحه ومِعْطَفه وخوذته ، وقرّرا أن يقدّما هذا كله قربانًا للرّبة « مينرڤا » فربطا ذلك السَّلَب إلى جِذْع شجرة ، وغطّياه بمجموعة من الأغصان على نحو يستدِلان عليه إذا رَجَعا قبل بُزُوغ الصباح .

ثم أسرعا فى اجتياز السهل إلى معسكر « تراقيا » ، وكان الجند غارقين فى سُبات عميق ، وإلى جانب كل منهم سلاحه وجواده ، وكان ملكهم يتوسّطُهم مستسلماً هو أيضًا إلى هَناءَة النوم ، وعلى مَقْرُبَة منه جياده البِيض مقطورة إلى مركباته الفخمة ، المزدانة بالفضّة والذهب ، فقال « أوذيس » :

— « قِفْ يا "ديوميدس" فهذا هو الرجل ، وتلك هى جياده التى حدّثنا عنها " دولون " ! » وابتدأت المذْبَحة .

وعلى غِرار أسَد يفاجئُ قطيعًا من الغنم بلا راع ، وينقضُ عليها ، انقضَّ « ديوميدس » على جند « تراقيا » ، وكال لهم الضَّربات ذات اليمين وذات الشمال حتى ارتوتْ من دمائهم الأرض ، وملأ الفضاء

أينُ المُحتَضَرين .

أطاح « ديوميدس » باثنى عشر رجلاً ، وكان كلّما هوَى أحدهم متخبِّطاً بدمائه فاقدَ الروح ، أمسك به « أوذيس » من قدميْه ، وطرحه جانبًا حتى لايزدحم به الطريق ، ولا تضطّر جياد « ريزوس » البيض إذا عادا بها ، أن تدوس بسنابكها جثث الموتى فتجفُل ويتملّكها الذعْر فى وسط الظلام .

وكانت الفريسة الثالثة عشرة التى قذف بها « ديوميدس » إلى عالم الأموات ، هى « ريزوس » نفسه ، فقد كان يَحلُم وهو نائم ، حُلْمًا مزعجًا جعله يتقلّب متقطّع النَّفَس ضيّقه ، ويئنّ شاكيًا متبرّمًا ، فما إن يغْرِس « ديوميدس » رُمحه فى صدره ، حتى ينتقل ذلك النائم المضطرب ، من الحلم إلى الموت ، دون أن يفتح جفنَيْه على عالم الأحياء .

فكّ « أوذيس » أرْبطة الخيل ، وأعْوَزَه السوْط فضربها بقوسه وساقها أمامه .

ثم أطلق من فمه صفيراً معلومًا كان سرّ التفاهم بينه وبين رفيقه ، ومعناه أن يقِف « ديوميدس » مجْزَرته ، ويخفّ إليه ليساعده على حمْل الغنائم .

تردّد « ديوميدس » ورَجَع لنفسه يسائلها ، أيتابع إزهاق الأرواح أم يطير إلى رفيقه ويعينه على جرّ الأسلاب ، وفى مقدّمتها المركبات الفخمة .

وبينا كان يقلّب وجوه الرأى متردّداً حائراً ، ظهرت له « مينرڤا » وقالت له :

ــ « عُدْ إلى مقربة من الأسطول يا "ديوميدس" ولا تنتظر حتى يَعْمِد إله من الآلهة إلى إيقاظ الطّرواديّين ، فتُضْطَّر عندئذ أنت وزميلك إلى الهرب » .

وكان « أپولون » فى هذه اللحظة قد أيقظ أحد أقارب « ريزوس » ، فهاله أن يرى الأرض مفروشة بالمَوْتَى والمائتين ، وأن يجد أمكنة الخيل خالية خاوية ، فنادى بالوَيْل والثبُور ، فهُرِع إليه الطّرواديّون من كل حَدَب وصَوْب .

وسُرْعان ما امتطى كلّ من « ديوميدس » و « أوذيس » صَهْوَة جوادٍ أبيض ، وطار به إلى معسكر الإغريق أسْرَعَ من زَبَد الموج فى يومٍ عاصف شديد الأنواء .

وصل البطلان إلى الشجرة التى رَبَطا عند جِذْعها سلاح « دولون » حين انْتَوَيا تقديمه قرباناً إلى الرّبة « مينرڤا » فترجّل « ديوميدس » وأخذ السَّلَب ووضعه فى يدى « أوذيس » ثم قفز إلى مَتْن جواده وغَمَزَ كل فارس شاكِلَة جواده فجرى به خَبَبًا يسابق الرّياح .

واسْتَرعَت انتباه الشيخ « نسطور » حوافرُ خيلٍ تَضْرِب الأرض ، فطارتْ نفسه شَعَاعًا وسارع يفضى بالأمر إلى بقية زعماء الإغريق فهَبُّوا كلهم يترقبون الفرسان القادمين إليهم ، ويتأهبون للقائهم بماضى



السلاح إذا كانوا من زُمْرة الأعداء .

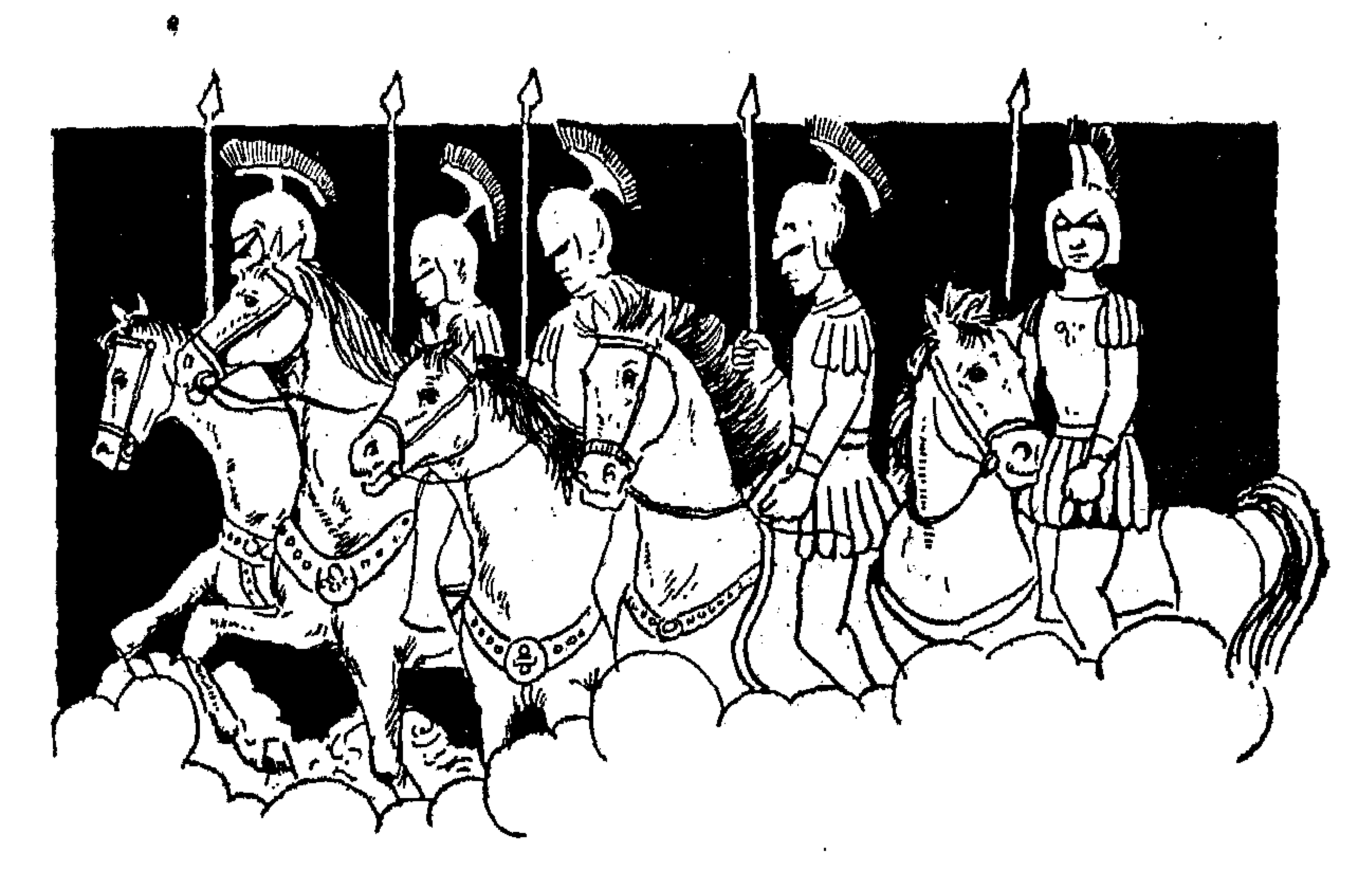
ولا تَسَلْ عن غِبْطَتهم حين رأوا « ديوميدس » و « أوذيس » يَقفان جواديهما ، ويُرْخِيان الأعِنة ، ويَثِبان إلى الأرض ، فرحَّبُوا بهمَا أجمل ترحيب ، وحَيَّوهما أحسن تحية .

وروى « أوذيس » لرفقاء السلاح ما قام به هو و « ديوميدس » من أعمال باهرة ، ثم مضى والدنيا لا تَسَعُه من الفرح ، إلى الجوادين فقادهمَا عَبْرَ الخَنْدَق إلى الإسطبل الذى يُؤوِى بقية جياد « ديوميدس » .

وشعر « ديوميدس » و « أوذيس » بحاجتهما إلى الراحة والانتعاش ، فارتميا فى أحضان البحر الواسع ، يغسلان بأمواجه الباردة ما عَلِقَ بجسميهما من عَرَق وغُبَار .

وخرجا من البحر وهما على جانب عظيم من القوة والنشاط ، فأكلا وشربا مسرورين مبتهجين ، وارتفعا بالروح إلى الرّبة « مينرڤا » يقدّمان لها فروض الشّكر ، على حين كان الطّرواديّون فى تلك الأثناء ، يبكون وينتحبون على ما أصابتهم به الهزيمة فى تلك الليلة من ذُلٍّ وعار .





١١

مَضَى الهَزِيع الأخير من الليل ، وبدأ الفجر الأغبَر ينشق عنه ، فهبّ الأبطال يشنُّون الغارات ، ويستأنفون القتال ، ويخوضون معارك دامية .

وكان « أجا ممنون » فى الطليعة ، يناضل نضالَ الأسود حتى انتصف النهار ، ولكنّ الآلهة كانت حربًا عليه ، فاضطرّ هو وكثير غيره من المحاربين إلى أن يَهجُروا ساحة الهيجاء مُثخَنين بالجراح . وكان الطبيب الإغريقى الماهر « ماخاوون » قد أصيبَ فيمن أصيب ، رماه « فاريس » بسهم نَفَذ إلى جَنْبه ، فلما علِمَ الإغريق أن الذى

يأسو جراحهم ، ويعرف أسرار الطب والتضميد ، قد أصبح هو نفسه في عداد الجرحى الذين يحوم حولهم الموت ، ساورهم القلق ، وانتابهم ذُعْر شديد .

عكف « نسطور » الشيخ على الطبيب الجريح فنقله إلى مركبته ، ورجع به القهقرى على طول الشاطئ إلى خيمته .

وكان « أخيل » جالساً في مؤخر سفينته يراقب عن بعد كيف تسير المعركة ، فلمح « نسطور » قادماً بمركبته ، فأرسل صديقه الحميم « فطرقل » يستقصي اسم الجريح ، ويأتيه بأخبار المعركة .

قسا « نسطور » في الرد على « فطرقل » وقال :

— « علام سؤال "أخيل" عن اسم الجريح ؟ وماذا يهمه من أمره ؟ أمشفق هو على أبناء الإغريق فيتحرى عنهم ويستفسر عن أيهم سقط جريحاً ؟ كم من الإغريق أراقوا دماءهم اليوم فلم يحرك ساكناً ؟ أتذكر يا "فطرقل" يوماً حدثك فيه أبوك عن " أخيل " وعن نفسك فقال : " إنك يا ولدي أكبر منه سناً وهو أشرف منك مولداً . إنه أقوى منك ولكنه ينقاد إلى رأيك ونصيحتك إذا بذلتهما له في رفق ورقة " . فعليك اليوم يا " فطرقل " أن تبذل مسعاك الحميد ، وتحمله على أن ينضم إلى إخوانه محارباً جسوراً ، فإن أبى فاقترض منه سلاحه يهرب منك رجال "طروادة" ، ظناً منهم أنك هو القرم العنيد والبطل المغوار » .

أثّر هذا الكلام فى فؤاد « فَطْرُقْل » ونَكَص على أعقابه راجعًا إلى « أخيل » .

واحتدمت المعركة ساعةً بعد ساعة احتدامًا وَبيلاً ، وحاول الطّرواديّون أن يشقّوا لهم طريقًا إلى السور الذى بناه الإغريق ، غير حافلين بالحجارة التى تنهال فوق رؤوسهم انهيالَ المطر .

وصل الطّرواديّون مع ذلك إلى أبواب السُّور ، وكان على مَقْرُبة منه حَجَر ضخم يَعْجِز عن رفعه رجلان من أشِدّاء الرجال ، فاقترب منه « هكطور » العظيم وتناوله بيد واحدة ، وقذف به الباب الكبير فتحطّم مصراعاه وتطايرت شظاياه وفتحت فيه ثغرة نفذ منها « هكطور » إلى معسكر الإغريق ، والغضب يتّقد فى عينيه ، وهيهات أن يصدّه غير إله . فاندفع الطّرواديّون على أثَره ، ودحَرُوا الإغريق إلى مراكبهم .

واستَبْسَل « أياس » أيّما استبسال ، واستمرّ يحارب ، وظَهْرُه إلى البحر ، ومن حوله كتائب الإغريق تدافع عن مواقعها شِبْراً شِبْراً ، وتواجه العدو بحائط حَيٍّ من البشر ، يرحّب كلٌّ بالموت ، إذا تعذّر النصر ، فِدى الكرامة والوطن .

أرأيت إلى الصخرة الصّماء ، تدحرجها أعاصير الشتاء من قِمة الجبل إلى السَّفْح ، فتهوِى إلى الوادى بِدَوِيٍّ كأنه هزيمُ الرعد ، حاملة معها الدّمار والموت ، هكذا انقضّ « هكطور » مُلاعِب الأسنّة وحمّال الموت ، تتكدّس القَتْلَى وراءه ، ويختلط أنين الجَرْحَى

بجلبة الحرب ، وتُغمض يد الموت أجفان العديد من القادة الأبطال .

فصاح فيه « أياس » :

— « أتظنّ يا " هكطور " أنك تستطيع سحْق جيشنا وإغراق مراكبنا ؟ فاعلم أن الآلهة هي السبب في نكبتنا لا جيش " طروادة " فما هي إلا فترْة قصيرة من الزمن ، حتى تسقط " طروادة " تحت وابل ضرباتنا ، فتتوسّل أنت عندئذ إلى الإله « زَفْس » أن يَهَب جيادك أجنحة الصقور ، لتحملك إلى " طروادة " مغلوبًا مهزومًا تحفّ بك سُحُبُ الغبار » .

فردّ « هكطور » على « أياس » قائلاً :

— « ويلك من مغرور صفيق الوجه ! إن ذلك اليوم الذى تتحدث عنه ، سيَشْهَد هزيمة الإغريق المُنْكَرة ، ولئن أهابتْ بك الشجاعة ، وعرّضت نفسك لطعنات رمحى ، لأجعلنّك طعامًا للعِقْبان والكلاب ! »

وكان « أجا ممنون » فى خيمته ، تلْسع صدره عقاربُ اليأس والقلق ، فزيّن له بعضُ رفاقه المحيطين به ، أن يُصْدِر أمره للجيش بالانسحاب ، والفرار إلى السفن ، والإقلاع بها منشورة الشراع إلى الوطن .

دار هذا الكلام فى خلد « أجا ممنون » فرَضى به ، وقنَع من الغنيمة بالإياب وقال :

— « لا عار من الفرار إذا ضاع الأمل ، وتوالت علينا الهزائم ! »



فامتعض « ديوميدس » و « أوذيس » من ذلك الكلام ، وأبَيَا أن يستجيبا لرأى رئيسهما فقال « ديوميدس » :

— « بل العار كل العار ! . . . فاحزِمُوا أمْركم على معاودة القتال على ما نحن عليه من تخين الجِراح . . . »

وفعلتْ كلمته فيهم فِعْل السِّحْر ، فسَوْا إلى النزال وعلى رأسهم « أجاممنون » ، ودارت الحرب أفْظع ما تكون بين المحاربين .

نزل الإغريق الميْدان ، وفى نفوسهم عزم الجبابرة على انتزاع النصر ، ولو من قُبّة الأفلاك وجَبَهات الأسود .

وما زالت الحرب سِجالاً بين الفريقين ، حتى أصيب « هكطور » بحجر ضخْم قذفه به « أياس » فخرّ بعده منطرحًا إلى الأرض ، كأنه دوحة عظيمة اقتلعتها من جذورها صاعقةٌ من الصواعق ومدّدتها على وجه الثرى ، فحملَه الطّرواديّون وابتعدوا به من ساحة المعركة ، وفمهُ ينْزِف دمًا صبيبًا .

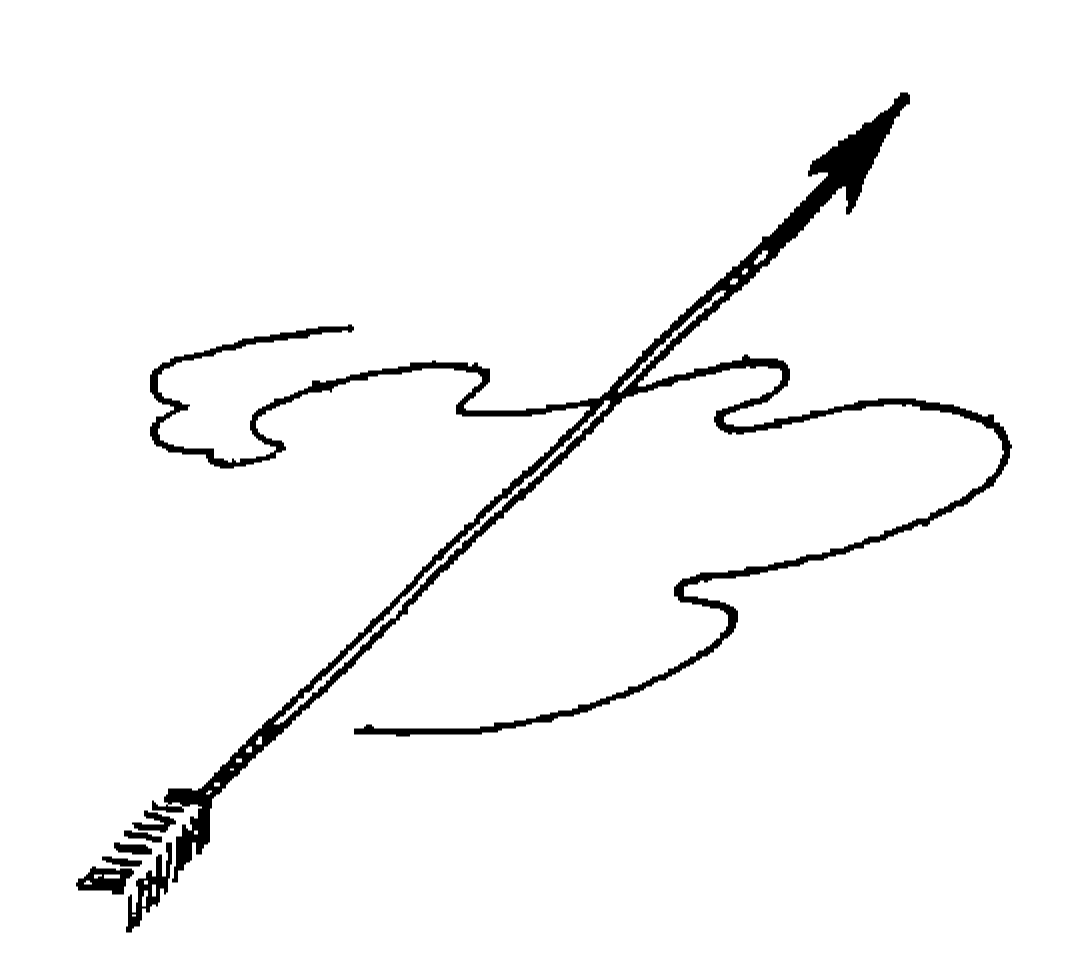
فشعر الإغريق عندئذ بالشجاعة تتضاعف فى جوانحهم ، فكرُّوا على العدو كرّات رهيبة فتقهقر بعيداً من سفائنهم .

وعزّ على « أپولون » العظيم أن ينحدر « هكطور » على تلك الصورة ، فهَبَط إلى حيثُ كان مُمدّداً على الأرض ، تكاد تفارقه أنفاسه ، ونفخ فى جسمه الضعيف المتهالك رُوحًا جديداً ، وقوّةً علويّة توازى قوّة عشرة محاربين أشدّاء ، فانتعش « هكطور » ونهض بقامته

الفارِعة ، وعضلاته الحديدية ، يصُبُّ جاماتِ غضبه على الإغريق ، فذُعِروا وتفرّقُوا بَدَداً .

وكان « فَطْرُقْل » إذ ذاك ، مشغولاً تحت خيمته بتضميد جراح صديق عزيز عليه ، فطرقت مِسْمَعَه جَلَبَةُ الهاربين ، فتنهّد متألمًا حزينًا ، وقال فى نفسه :

ـ « علىّ أن أسارع إلى " أخيل "، فقد آن ولا شك أن أوغِر صدرَه على الأعداء ، وأن أحمِله بكلماتى الصادقة إلى أن يُهْرَع إلى القتال .





١٢

بينما كان الإغريق يحاربون على مَقْرُبَةٍ من مراكبهم ، كان « أخيل » يسمع ضوضاء المعامع وهو قَصِيٌّ بعيد ، ويرى الإغريق يتساقطون إلى الأرض مُضرَّجين بدمائهم ، ولا تهتزّ له خَلْجَة من فؤاد .

فجاءه « فطْرُقْل » وهو يبكى بكاء الأطفال ، فلما رآه « أخيل » على تلك الحال سأله قائلاً :

— « لماذا تبكى يا " فَطْرُقْل " ؟! إنك لتشبه طفلة تتشبّث بأهداب أمها وتعيقها عن السَّيْر ، وتنظر إليها بعبرات مسفوحة ، حتى ترفعها أمها إليها وتضمّها إلى صدرها . . . هكذا أنت تبكى يا " فطْرُقْل " ففيم هذا الدَّمْع الهتُون ؟ ! »

فقال له « فطْرُقْل » وهو لا يزال يبكى وينتحب :

— «حَنَانَيْك يا"أخيل"! إن نُخْبة النُّخَب من رجالنا الشجعان الصناديد ، يفترشون الأرض على مقْرُبة من سفننا بين ميّت وجريح ، وأنت مقيم هنا لا ترأف ولا تصْفح ، ولا تهتزّ للمحن التى تَفْتُك بإخوانك فتكًا ذريعًا ، فمِنْ أىّ صخرٍ وفولاذ قُدّ فؤادك فلا يخْفق ولا يختلج ؟ ! سمْعك يا " أخيل " ! إذا كنت مُصِرًّا على أن تظلّ بمَنْأى عن الحرب ، فأعطنى ،ناشدتك الآلهة ،سلاحك حتى أحضر الوَغَى ، وأنافح عن وطنى بدلاً منك ، فإن أسْعف الحظ ، وحسِب الطّرواديّون أنى "أخيل" العظيم الذى لا يُقْهر فقد نظفر بالنصر المُبين » .

فقال له « أخيل » وشعورُ المرارة والألم لا يزال يجيش فى صدره :

— « أتنسى يا " فطْرُقْل " أن هؤلاء الإغريق الذين تتحدّث عنهم ، هم الذين حرمونى مكافأتى التى كسبتُها بحرّ الجهاد ؟ وكيفما كان الأمر ، فما فات قد فات ، وعَفَت الآلهة عمّا مضى ، فما من أحد يطوى فؤاده على حقد دائم . . . لقد كنتُ أقسمتُ أن أظلّ غريبًا

عن القتال ، ما لم يُجَن هؤلاء الطرواديون ويعمدوا إلى إحراق سفني .
وعلى كلٍّ ، إليك سلاحي وعُدَّتي ، إليك إن شئت رجالي فقُدْهُم
إلى القتال ، واكْتَسح الطّرواديِّين وأقْصِهم عن الأسطول ، ولكن
حذارِ أن تخاطر بنفسك ، وتقاتل في السهل دون أن أكون معك » .

وحَدَث ما كان قد توقّعه « أخيل » فما زال « أياس » العظيم
يضرب ويطعن ، ويُقْبِل ويُدْبِر ، ويَصُبّ المنايا على رؤوس
الأعداء ، حتى كَلَّ مَتْنُه وخارت قواه ، واندفع الطّرواديّون اندفاع
المجانين إلى ناحية السفن ، يرمونها بقذائف النيران ، ويُشْعِلون فيها
الحرائق ، حتى بلغت ألسنةُ اللّهب كبِد السماء .

نظر « أخيل» إلى هذا المشْهد ، فضرب بكفّه فخذه وقال :

ـ « أسْرِع . أسْرِع يا " فطْرُقْل" إنهم يحرُقون سفننا. تقلّد
السلاح ريْثما أجْمع رجالي » .

تقلّد « فطْرُقْل » سلاحه البرّاق ، وارتدى الدِّرْع ، وتناول
التُّرْس ، ولبس الخُوذة ورمى فوق كتفه السيف المُحلَّى بمسامير
الفضّة وأمسك بيده رمحين طويلتين ثم قفز إلى مركبة « أخيل» وأعنّة الخيل
فيها مجموعة في يدى « أوتوميدون » أمهر سائق على الإطلاق .

وماج رجال « أخيل »كالبحر الزّاخر ، وبلغت حماستهم أشُدَّها ،
وتأهّبوا للقتال بعد ركود ، فرحين مغتبطين .

فقال لهم « أخيل » يخاطبهم :

— « لقد تذمرتم طويلاً ، وهمهمتم كثيراً بعد إذ صرفتكم عن القتال وأنتم تواقون إليه ، فها هوذا يومكم العظيم قد أقبل ، ومعركتكم الكبرى التي طالما تمنيتموها قد حل أمدها ، فسيروا إليها ، وخوضوا غمارها ، واملأوا الساحات بجثث الأعداء ، وانتزعوا منها راية النصر والظفر » .

فهللوا وهتفوا ، وساروا إلى الحرب أسوداً غضاباً ، يقود جموعهم « فطرقل » الشجاع . وبقي « أخيل » في خيمته يناجي « زفس » رب الأرباب ، ويرفع إلى عرشه الأدعية والصلوات .

التحم الرجال في قتال عنيف ، وطارت السهام إلى أهدافها ، وأبلت الرماح بلاءها ، ولمعت السيوف صاعدة هابطة في وسط العجاج ، فكم من بطل خطف روحه سيف « فطرقل » . ولشد ما انتاب الطرواديين الذعر والهلع عندما رأوا سلاح « أخيل » يبرق ويتالق في مركبة « أخيل » .

تقهقر الطرواديون عن الشاطئ تقهقر الموج عند الجزر ، وأخمدت الحرائق . وانتقل القتال إلى الخنادق فامتلأت بالجثث الهامدة وحشرجة المنازعين .

وساق « فطرقل » جياد « أخيل » إلى وسط السهل ، فتراجع « هكطور » حتى أسوار « طروادة » .

وشاء « فطرقل » أن يحول بين الطرواديين وأسوار مدينتهم ، فأدار

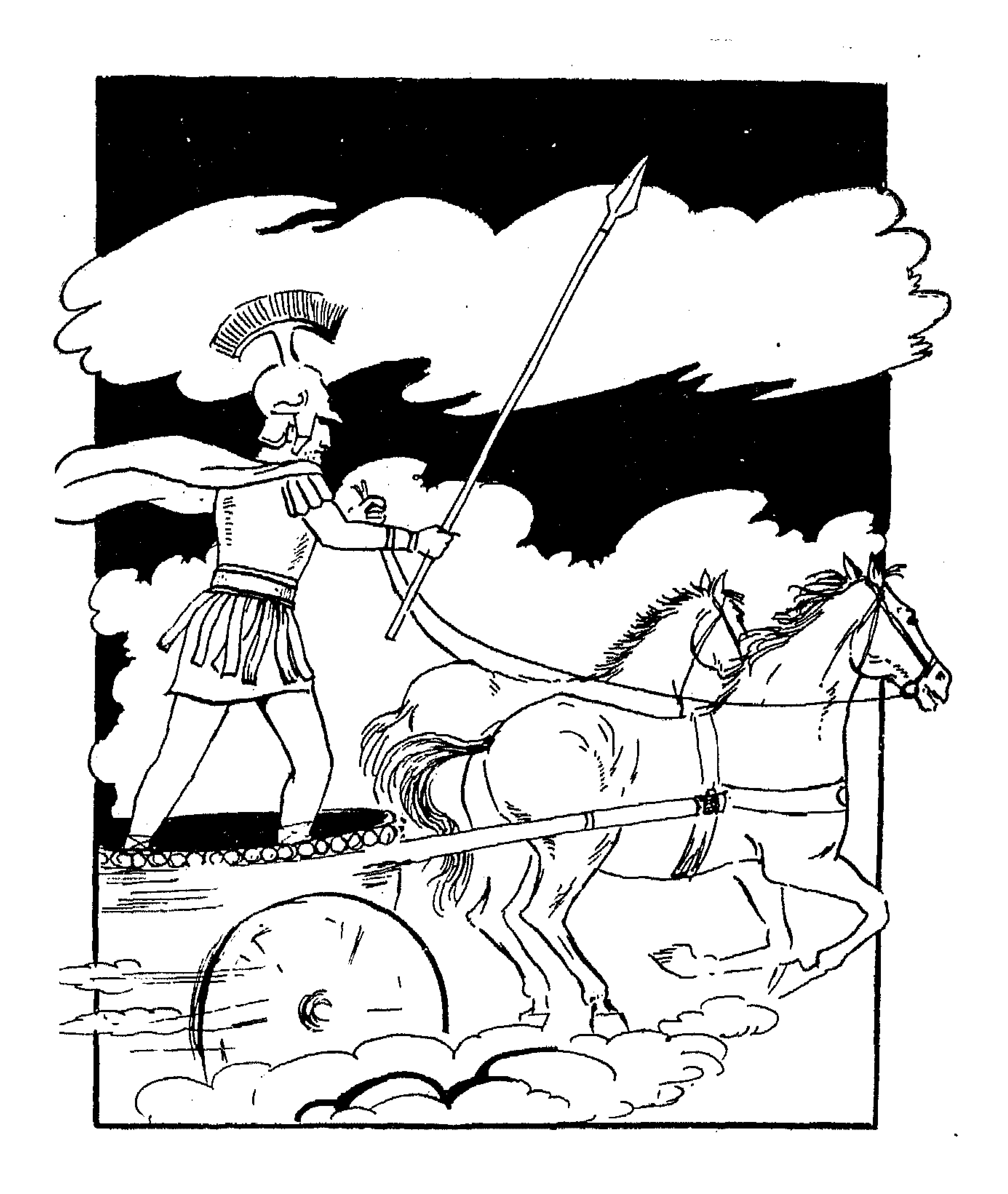
مركبته ودفع بالهاربين إلى وجهة السفن ، فصدمت جياده المندفعة اندفاعَ الأعاصير كثيراً من الجياد الأخرى ، فانقلبت إلى الأرض ، بما تجرّ من المركبات وتهاوَى ركّابها ، وأدركهم «فَطْرُقْل» بضرباته فأخمد أنفاسهم ، وكان فى ذلك اليوم بطل المعركة وحاصِد الأرواح .

وكان هناك بين أبطال « طروادة » ، رجل واحد بقِى رابط الجأش قوىّ الفؤاد ، لم تضعضعه أعمال " فطْرُقْل " الباهرة ، ذلكم هو البطل « سرپيدون » . فصرخ فى رجاله وقال :

— « يا للعار ! إلى أين تريدون الفِرار ؟ ! قِفُوا ولا تَهْرُبوا ، فأنا لهذا الرجل الذى اكتسح جيشَنا وأشاع فينا الدَّمار والهلاك » .

فَقَفَزَ « سرپيدون » و « فَطْرُقْل » معًا إلى الأرض ، وأطلق « فَطْرُقْل » سهمًا سدّده إلى « سرپيدون » فأخطأه ، ولكنه أصاب سائق مركبته فمات على الأثر ، فردّ عليه « سرپيدون » بسهمٍ غار فى الفضاء وحطّ على كَفَل الجواد « بيداسوس » أحد الجياد الثلاثة التى تجرّ مركبة « أخيل » فسقط متمرّغًا فى التراب ، وجرّ معه الجوادين الآخرين « كاسوس » و « بالى » ، فَوَثَب « أوتوميدون » بسرعة البرق من المركبة ، وقطع بسيفه أرسان « بيداسوس » فنهض أخواه واتخذا مكانهما من المركبة .

وسدّد « سرپيدون » سهمًا آخر إلى « فَطْرُقْل » فأخطأه فى هذه المرة أيضًا ، ولكن مسّه مسًّا خفيفًا فى كَتِفه ، فلم يؤخر « فَطْرُقْل »



الجواب ، فصوّب سهمه إلى « سرپيدون » وأصابه فى قلبه ، فسقط إلى الأرض كما تسقط سنديانة كبيرة جزّتها فأس الحطّاب .

والتفّت جماعة من المقاتلين الطّرواديّين حول جثة « سرپيدون » يريدون أن يثأروا له فأرداهم « فطْرُقْل » جميعًا .

وشاء الإله « أپولون » المخيف ، ألاّ ينْعَم الإغريق بانتصارهم ، فقرّر أن يدخل المعركة فى جانب الطّرواديّين .

لم يكْتف « فَطْرُقْل » بمن أباد من المقاتلين المنطرحين عند قدميه ، فأراد أن يواصل زَحْفه ويضاعف عدد ضحاياه ، فحاول أن يتسلّق سُوراً من أسوار « طروادة » العالية ، فصدّهُ « أپولون » عن مبتغاه ثلاث مرّات .

ولما همّ بالتصعيد فيه رابع مرّة أنذره « أبولون » وحذّره من مَغَبّة عمله ، وأنهى إليه أنه إنما يعاند إلهًا لا يقوى على غضبه .

وجرى « هكطور » بمركبته إلى « فطْرُقْل » يريد أن يقضى عليه ، فلما رآه « فطْرُقْل » منقضًا انقضاض الصواعق ، قفز من مركبته ، وتناول حَجَراً حادًّا ورمى به عدوّه فكاد يصيبه لولا أن تزحزح «هكطور» قليلاً عن مكانه ، غير أن الحجر لم يذهب ضياعًا ، فقد شجّ رأس السائق وأرداه قتيلاً ، فأخذ « فطْرُقْل » يستهزئ به ويُعَيّره ويقول :

— « وحَقّ "زَفْس" إن هذا الرجل لغوّاص ماهر ، فلئن كانت قُدْرته على الغوْص من أعالى السفن إلى البحر ، توازى مهارته فى

السقوط من المركبات ، ليكونن من أبرع صيادى اللؤلؤ ! »

وَوَثَب « هكطور » أيضًا من مركبته ليدافع عن جُثّة سائقه ، فنَشِبت من حولهما معركة شديدة الهول عظيمة الدَّوِيّ يشبه صوت السلاح فيها صفير العاصفة عندما تقتلع أشجار الغابات .

وكانت كفّة الإغريق هى الراجحة ، وقام « فَطْرُقْل » بثلاث هَجَمَات طرحت كلٌّ منها عند قدميه تسعة محاربين ، وعندما همّ بالهَجْمة الرابعة اعترضه « أپولون » وألحق به الهزيمة .

أقْبَلَ « أپولون » ملتحفًا بضَباب كثيف فلم يرَهُ « فَطْرُقْل » ، ولكنه شعر بقبضة علوية تضربه فى ظهره بين كتِفيْه العريضتين ، وبيد تنتزِع من رأسه خُوذة « أخيل » وتطرحها تحت حوافر الخيل ، فترنّح « فَطْرُقْل » خائفًا مذعوراً ، وتحطّم رمح « أخيل » بين يديه ، وسقط التُّرْس العريض إلى الأرض ، وتقدّم إليه محارب طروادىّ وطعنه من الخلف طعنةً نجلاء بين كتِفيه .

وأراد « هكطور » أن ينال هو أيضًا من البطل الجريح ، فطعنه فى جنبه برمحه المسموم طعنةً شديدة فسقط « فطرقل » ، واصطدم سلاحه بأديم الأرض ، فسُمع له دوىّ عظيم .

فصاح فيه « هكطور » :

— « آه ! لقد تملّكك الغرور ، وزعمت أنك ستكتسح الرجال ، وتهدم الأسوار ، وتفتح "طروادة" ، وها أنت ذا ستصبح عما قليل

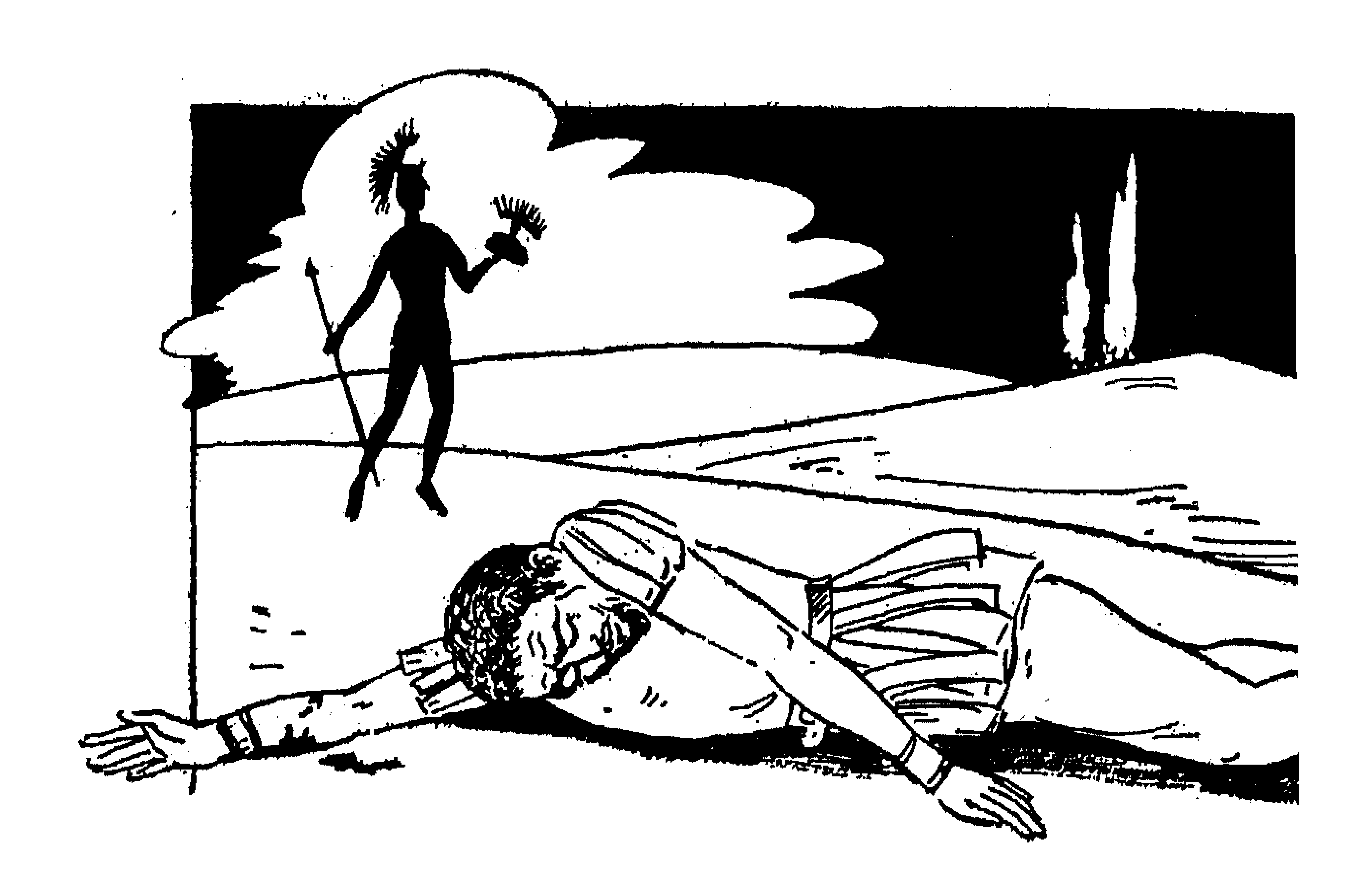
طعاماً للعِقبان والكلاب ! »

فقال له « فَطْرُقْل » بصوت خافت :

ـ « إيه " هكطور " النبيل ! لقد انتصرت عليّ ولكن لست أنت الذى هَزمني ، فقد كان فى مقدورى أن أهزم عشرين رجلاً مثلك ، وأطرحهم يَلْعَقُون التراب ، غير أن الآلهة هي التي قضت بهلاكي . فاعلم يا هذا أن أيامك هي أيضًا معدودة وإنى لألمح شبح الموت يحوم حواليك » .

أنهى هذه الكلمات ، فخَفَت صوته ، وثَقُل سَمْعُه ، فما عاد يتبيّن جَلَبَة المعركة ، وحامت حوله أشباح المنيّة ، ففارقت روحه الجسد ، وخيّم السكون من حوله إلى الأبد .





١٣

بلغت المعركة التى كان « فطرُقل » يقودها مبلغاً شديداً من العُنف والهول ، وازدادت بعد موته حدّة واحتداماً .

فما هو أن يُصرَع « فطرُقل » وتُنشِب فيه المنيّة أظفارها ، حتى يُقبل عليه « هكطور » ، ويجرّده من سلاح « أخيل » اللمّاع البرّاق الذى كان يتقلّده ، ولقد همَّ بعد ذلك بأن يجرّ جُثة « فطرُقل » إلى أسوار « طروادة » ويلقيها فريسة للكلاب ، على مرأى ومَسْمَع من الإغريق وجيشهم ، إمعاناً فى الإهانة والإذلال ، ولكنهم أبوْا إلا أن

يحمُوا جثّة قتيلهم ، فوقفوا دونها ذائدين عنها بأرواحهم ، حتى يجنّبوها المصير المهين ، فعادت الحرب إلى سيرتها الأولى من الضرْب والطّعان ، واصطبغت الأرض ثانيةً بدماء الضحايا ، وبلغت جلَبة المعارك عنان السماء .

وفى هذه الأثناء ، ترك ميْدان القتال عدّاء إغريقى من أسرع العدّائين ، وطار إلى « أخيل » يخبره بجلىّ الأمر ، ويصيح فيه قائلاً :

– « مات " فَطرُقْل " ، والمعركة دائرة الآن حول جُثته بعد أن استولى " هكطور " على سلاحه ! »

فأرْغى « أخيل » وأزْبَدَ ، وحزّ فى صدره الأسى والألم ، فاقتلع بيديه شعره الجميل ، وارتمى إلى الأرض متمرّغًا فى التراب حزنًا ويأسًا .

وَصَل صَدَى غمّه وألمه إلى أمّه الرّبة « تيتيس » وهى جالسة فى قصرها تحت أعماق البحار ، وعلى الأثر هبّت تخترق طبقات الماء ، وتشقّ الأمواج فتنحسر أمامها ، وتفْسح لها فى الطريق ، حتى وصلت إلى ابنها فقبّلتْ رأسه ، وأصغت إليه ، فى حنان ما بعده حنان ، يحدّثها عن موت « فطرُقْل » صديقه العزيز الحبيب .

فطيّبت خاطره وقالت له :

– « اعلم يا ولدى أن "هكطور" لن يفخر طويلاً بحمل سلاحك ، فإنى أرى الموت يحوم حوله . . . ولكن حذارِ أن تذهب إلى قتاله قبل أن آتيك بسلاح جديد أجمل وأمضى من السلاح الذى استولى عليه » .

وطارت إلى « الأولمب » ، وبقي « أخيل » وحده تستعر نار الحزن في جوانحه ، وتأكل صدره الآلام والحسرات .

وبينا هو على تلك الحال من الهمّ والغمّ ، إذ وقفت عليه « إيريس » مبعوثة الآلهة إليه فقالت له :

— « عجّل يا "أخيل" عجّل ! . . . فالطرواديّون يهمّون بجرّ جثة صديقك الحبيب إلى أعالى أسوار "طروادة" ليمثّلوا بها تمثيلاً ... فانزل الميدان ، وأظهر نفسك للطرواديّين ولو بغير سلاح ، ترهبهم وترعبهم ، وتمنعهم من أن يلحقوا بك وبجثة صديقك عار المذلّة والهوان . . . »

استجاب « أخيل » لتلك الدعوة ، فنهض وسار إلى ساحة القتال حتى وصل إلى حافة الخندق وهو أعزل ، وصاح في العدو صيحةً ارتجّت لها أركان الفضاء .

فما إن سمع الأعداء صرخته المدوّية كالرعد ، وتبيّنوا صاحبها حتى ملأ الرعبُ قلوبهم ، وضربت الفوضى بينهم أطنابها فلاذوا بالفرار في بلبلة واضطراب .

واستطاع الإغريق بعد تلك الحال أن يظفروا بجثة « فطرقل » ويحملوها إلى معسكرهم ، في حين كان « أخيل » يذرف الدمع السخين على جثة رفيقه العزيز الذي لقي حتفه في معركة أرسله هو يخوض غمراتها .

وفى مأوى الآلهة الخالدة ، قضى « ڤلكان » الإله الأعرج ليلته تلك ، يطرق على سَنداته الفولاذ والفضة والذهب طَرْقَ القَيْنِ الماهر ، ويصهر هذه المعادن فى البُوتقة ، ثم تشكلها يَدُه الصَّناع أسلحةً جميلةً ماضية سوف تُهْدَى بعد قليل للبطل « أخيل » .

وكانت تحفّ به فتيات حِسان ، يخدمنه ويساعدنه على النَّفْخ فى الكير، فيلعب الهواء بأطراف مِرْجَلِه ، وتتراقص فيه ألسنةُ اللَّهَب .

وفَرَغ من عمله ، فإذا بين يديه أسلحة لم تقع العين على أجملَ منها ، ولا عَجَب فإنما هى صنع إله حاذق ، فمن تُرْس منيع ثمين ، إلى دِرْع سابغ برّاق بريق النجوم ، إلى خُوذة يتوسّطها عُرْفٌ من الذهب .

وفى صبيحة اليوم التالى ، طارت الرّبة « تيتيس » من قِمّة « الأولمب » المكلّلة بالثلوج ، وسبحت فى الفضاء كما يسبح العُقاب الكاسِر ، حاملةً بين ذراعيها سلاحًا ثمينًا دقيقًا ، صنعه إله قدير وقدمه هدية للبطل « أخيل » .

رأى « أخيل » ذلك السلاح العجيب ، فاهتزّت جوانحه طربًا ، على ما يجيش فى صدره من حزن وكآبة ، وشاء أن يجمع شمْل الإغريق فصاح فيهم صيحة الحرب ، فلَبَّوْا جميعهم النداء ، وخفّوا حتى الجرْحى منهم إلى معاودة القتال .

وأقبل كذلك « أجا ممنون » رئيس الجيش الأعلى وهو جريح ، فنَسِي البطلان شِجارَهُما القديم ، وتحدّثا معًا حديث الأخوين الشقيقين .

ومشى الجند إلى غايتهم تغمرهم أشعّة الشّمس ، ولكن كم من هؤلاء الجنود يرى قُرْص الشمس للمرة الأخيرة . . .

وسار على رأسهم « أخيل » وهمُّه الدّفين فى صدره أن يثأر لصديقه « فَطْرُقْل » ، وقادهم إلى لقاء الطّرواديّين فى السهل الرحيب ، وتقدّم الصفوف كالعاصفة المجتاحة ، يضرب ويطعن فلا يُبْقِى ولا يَذَر ، كأنه النار التى تأكل الغابات وتقضى على الدَّوْح والشجر .

وتقهقر العدو هاربًا إلى ضفاف نهر « ساكا مندر » ، فلحق به هو ورجاله ، وكال للطّرواديّين الضّربات القاصمة ، لا تأخذه فيهم رحمة ولا شفقة ، حتّى امتلأ النهر بجثثهم ، وصبغت الدماء مياهه ، وهو مع ذلك لا يملّ ولا يكلّ ، كأنّما يلذّ له أن يرى الدماء تُراق ، والأجسام تتهاوى قتيلةً صَرْعَى .

وعزّ على النهر أن تجرف مياهه تلك الآكام من الجثث ، فتملكه الغضب وصاح فى « أخيل » قائلاً :

— « لقد سددتَ علىَّ مَجْراى وأنت لا تنفكّ ترمينى بجثة بعد أخرى ! »

فلم يعبأ « أخيل » بكلام النهر ، فانتفخ هذا مَغيظًا مُحْنقًا ، ورمى بالجثث إلى ضفافه ، وشدّ بأمواجه على « أخيل » يريد أن يسحبه إليه ، غير أنه ما كادت الأمواج تمسّ تُرْسه ، حتى أمسك بأغصان دوحة كبيرة ، واقتلعها من جذورها ، وطرحها أرضًا على الضفّة فحالت

بينه وبين الموج .

على أن تلك الدوحة الممدّدة على محاذاة النهر ، لم تقف جَرَيان الماء إلا قليلاً ، فعاد مندفعاً وراء « أخيل » وهو هارب إلى السهل فى خُطُوات جبّار .

ولما أدركه الموج وكاد يجرفه فى طيّاته ، تضرّع إلى الآلهة ، وتوسّل إليها أن تخفّ إلى نجدته . فسمعت الربّة « مينرڤا » دعاءه ، وكانت له نِعمَ الشّفيع ، فرضيت الآلهة أن يَدْحَر الطّرواديّين مرّة أخرى ويهزمهم حتى أسوارهم .

وكان « فريام » الملك الشيخ يشْهد من فوق الأسوار هَجَمات « أخيل » العجيبة وحُسْن بَلائه فى المعارك ، فيُقَدِّره قدْره ، ويأسى على العدد الكبير من ضحاياه ، ثم رآه يقترب إليه فى عُدّة كاملة من السلاح ، تتلألأ تلألؤ الكوكب الدرّىّ فى الليل البهيم ، وهاله أن يرى إذ ذاك ابنه « هكطور » يتأهب إلى لقاء ذلك البطل الذى لا يُقْهَر ، ويستعدّ لأن يخوض معه معركة لا تَرْحَم ، فمدّ الملك الشيخ يديه إلى ولده وقال له مسترحماً :

— « إيه يا " هكطور " يا ولدى الحبيب ! أتوسّل إليك ألاّ تمضى إلى لقاء هذا الرجل ونِزاله ، فهو أقوى منك » .

بَيْد أن « هكطور » كان يتحرّق شوقاً إلى منازلة خَصْمه العنيد ، ثابت الجَنان رابط الجأش ، لا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلاً .



وحاولت أمّه أيضًا أن تَثْنيَه عن عزمه ، ودموعُها تتساقط على خدّيْها ، وتتوسل إليه أن يجنّب نفسه ميتةً شنيعة ، فذهب كلامها وكلام زوجها من قبل ، سدًى على غير طائل .

واستند « هكطور » إلى جدار سُور من الأسوار ، مُشْرَعَ الرُّمحْ والتُّرس ، وانتظر قدوم « أخيل » قتّال الرجال .

والتقى البطلان أخيراً وجهًا لوجه ، وكلٌّ منهما مُدجّج بالسلاح ، وسدّد « أخيل » فى تلك اللحظة حربته إلى خصمه ، فانطلقت تَصْفِر صفير الرياح ، وتستقرّ فى عُنُق البطل « هكطور » .

وانصرفت عندئذ الآلهة عن البطل « هكطور » فخَرّ مُضرّجًا بدمائه تحت أسوار « طروادة » وأسلم الروح .

وهكذا انتهت المعركة .

واحتفل الإغريق بالنصر أيّما احتفال ، وأقاموا الولائم ، واستمرُّوا اثنى عشر يومًا فى أفراح موصولة ، ومباهج لا تنقطع ، وبقيت جثّة « هكطور » طول هذه المدة معروضةً فى العَراء ، معرّضةً للرياح السّافيات ، يأبى أعداؤها أن يدفنوها ويُهيلوا عليها التراب .

وربطها الإغريق فى آخر الأمر إلى مركبة « أخيل » ، وطارت بها الجياد المطهّمة إلى السفن ، تكنُس بها الأرض ، وتُثير من حولها الغُبار . وكانت أمّ البطل القتيل وزوجته تشهدان من أعالى الأسوار هذا المشهدَ المُفْجِع الأليم ، فتذوب نفساهما حَسَرات ، وتتمزّق منهما

الجَوانح ، وتدور بهما الأرض فتقعان مَغْشِيًّا عليهما .

وقرّ قرار الملك « فريام » بعد هذه المأساة أن يذهب إلى معسكر الإغريق ، وهنا انطرح على قدمى « أخيل » وقبّل يديه اللتين قتلتا ولده وفِلْذة كَبِده ، وابتهل إليه أن يسلمه جثة ابنه بعد أن ساموها الخِسْف والهَوان .

وتذكّر « أخيل » آلامه المبرّحة ، فأثّر فيه كلام الوالد الشيخ ، ورضى أن يسلمه جثة ولده ، على أن يفتديها بفِدْية سنيّة .

وتمّ للأب الشيخ ما أراد ، فاحتفل أهل « طروادة » بتشييع جنازة بطلهم الأكبر « هكطور » ، بين الحفاوة الجليلة وأنين النائحات .

ولم تكفّ أمّه عن النحيب والبكاء ، فقد كانت تُؤْثِره على بنيها جميعًا ، وتخصّه بالمَزيد من حبّها وعطْفِها ، ولا كفّتْ زوجته « أندروماك » عن ذرْف العَبَرات ، وهى تعتمدُ بين يديها رأس زوجها الحبيب .

واشتركت « هيلانة » أيضًا فى هَوْل الفجيعة ، فقالت تَرْثيه وقد عَصف بفؤادها الألم والنَّدم :

— « يا أعزّ الإخوة والأنسباء ! يا مِثال النُّبْل ومكارم الأخلاق ، طيَّبت الآلهة ثَراك جزاء ما شملتَنى به من عطف ومودّة ، فما انفرجت شفتاك قطّ عن كلمة قاسية ترمينى بها ، بل كنت على العكس تستوحى قلبك الكريم ، وتدفع عنى لَوْم اللوّام وعتاب العاتبين ، فَمَنْ يحمينى

بعدك يا "هكطور" ؟ ! ومَنْ يدفع عني غوائل الأذى ؟ ! ومَنْ يخصّني بعد اليوم بشعور المحبة والحنان ؟ ! إن شعبك بأسْره لن يرحمني بعد نَوَاك يا صديقي الوحيد ! »

ثم وضع القوم جثّة « هكطور » فوق محْرقة عالية عريضة ، فلما أتى اللّهب على الجثّة ، أقبل أهله يجمعون عظامه ، ويُودِعونها جرّةً ثمينة دفنوها في حُفْرة عميقة ، وأقاموا فوقها ضريحًا فخمًا من الحجر الضّخْم ، حتى يعرف كل من يَمُرّ بذلك الضريح ، أن مَنْ يرقُدُ تحت جلاميده بطل كريم شجاع .

* * *

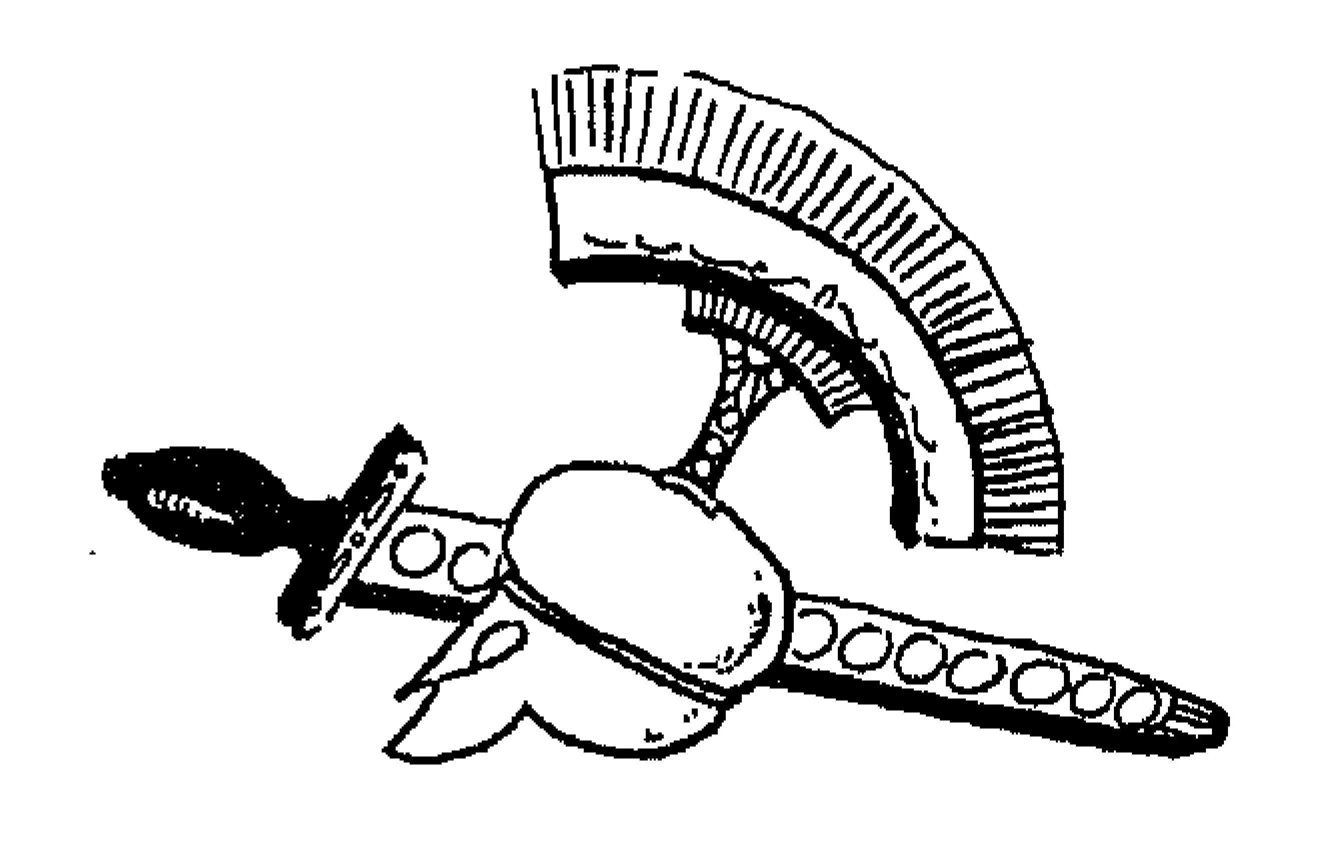
إن الحرب بين الإغريق والطّرواديّين لم تنته مع هذا ، فبعد قليل يموت « أخيل » بسَهْم يسدّده إليه « فاريس » فيُرْدِيه قتيلاً ، ويموت بعده « فاريس » نفسه بسَهْم مسموم يصيبه عَرَضًا ، ويُطْلِقه في جُنْح الظلام ، رجل أبْرص طرده الإغريق من معسكرهم . وبينما كان الثلج ينهمر فوق قِمّة جبل « إيدا » ومُنْحدَره وسَفْحه ، ينقلب «فاريس» ميّتًا بين ذراعي زوجته « هيلانة » الحسناء متأثّراً بجراحه .

ثم يجيء اليوم الذي يَحْرُق الإغريق فيه معسكرهم ، ويرحلون عَبْر البحر الواسع راجعين إلى أوطانهم .

غير أنهم تركوا وراءهم حصانًا ضخْمًا من الخشب ، فجرّه أهل « طروادة » إلى مدينتهم ، مبتهجين بهذا السَّلَب الثمين ، ناظرين

إليه على أنه دليل النَّصر المبين ، وكان قد اختبأ فى جوف هذا الحصان ، نَفَرٌ من أشجع المقاتلين الإغريق ، وأشدّهم بأسًا ، وأرْماهم للسهام ، فلما جُنّ الليل ، وشُغِل الطّرواديّون بأعيادهم وأفراحهم ، خرج الإغريق من مخبئهم ، واستولَوْا على الأبواب وفتحوها لرفقائهم ، فحصدوا الأعداء حَصْداً ، ولم يَبْقَ فى مدينة « طروادة » بعد ذلك ، إلا أطلال حزينة ، ورماد مُبَعْثَر ، وآثار دماء سالت على وجه الثّرى .

ورعى القَدَر « هيلانة » الجميلة ، فلم تَهْلك مع الهالكين ، فرجَعَت فى صُحْبة « منيلاوس » إلى بلدها ، وتبوّأت معه عرش « إسبرطة » ، وعاشت فيها هانئة سعيدة ، وهى التى هلك من أجلها العديد من الرجال ، واضمحلّتْ بسببها مدينة « طروادة » العظيمة ، وأصبحت أثراً بعد عَيْن . . .



رقم الإيداع		١٩٩٤ / ٢٠٨٦
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4350 - 7	ISBN

٧ / ٩٣ /١٢٤
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مجموعة طريفة يختص كل كتاب منها بقصة واحدة تفيض بالمغامرات والحوادث العجيبة المملوءة بآيات البطولة والشجاعة والإقدام.

ظهر منها:

١ - عمرون شاه
٢ - مملكة السحر
٣ - كريم الدين البغدادى
٤ - آلة الزمن
٥ - الأمير والفقير
٦ - كتاب الأدغال
٧ - بينوكيو
٨ - نبوءة المنجم
٩ - روبن هود
١٠ - دون كيشوت
١١ - ايفنهو
١٢ - جزيرة الكنز
١٣ - كنوز الملك سليمان
١٤ - سجين زندا
١٥ - الزنبقة السوداء
١٦ - مون فليت
١٧ - مقبرة الأفيال
١٨ - الربان بلود
١٩ - تيودورا
٢٠ - أوليفر تويست
٢١ - دافيد كوبر فيلد
٢٢ - فى مهب الريح
٢٣ - الفخ الذهبى
٢٤ - حصان طروادة
٢٥ - عودة المحارب
٢٦ - نساء صغيرات
٢٧ - توم سوير
٢٨ - الأربعة الذين سرقوا الزمن
٢٩ - الربان الجرىء
٣٠ - العم نعناع
٣١ - أم حنان
٣٢ - كوخ العم توم